الطريق إلى الله

الكتـــــاب: الطريق إلى الله.
المـــؤلـف: ياسر محمد عبده يماني.
الطبعـــــة: الأولى.
سـنة الطبع: ١٤٣٧هـ الموافق ٢٠١٦م.
النـاشــر: الوابل الصَّيِّب للإنتاج والتوزيع والنشر.
٧٠٤٧ شارع ١٧ من شارع ٩- المقطم- القاهرة- مصر
تليفون: ٢٩٨٥٠٨٩١ (٢٠٢+) - ٢٩٨٥٠٨٢٤ (٢٠٢+)
فاكس: ٢٦٦٧٣٣٩٣ (٢٠٢+) - ٢٥٠٥٧٨٣٠ (٢٠٢+)
E-Mail: Info@alwabell.com
www.alwabell.com

رقـم الإيـداع:
الترقيـم الـدولي:

الوابل الصيب للإنتاج والتوزيع والنشر
تراثنا......... أمانة في أعناقنا

المراجعة والتدقيق | ياسـر مديـن
تصميم الغـلاف | أشـرف مختـار
التنسـيق والإخراج | أحمـد عمـر

الطريق إلى الله

ياسر محمد عبده يماني

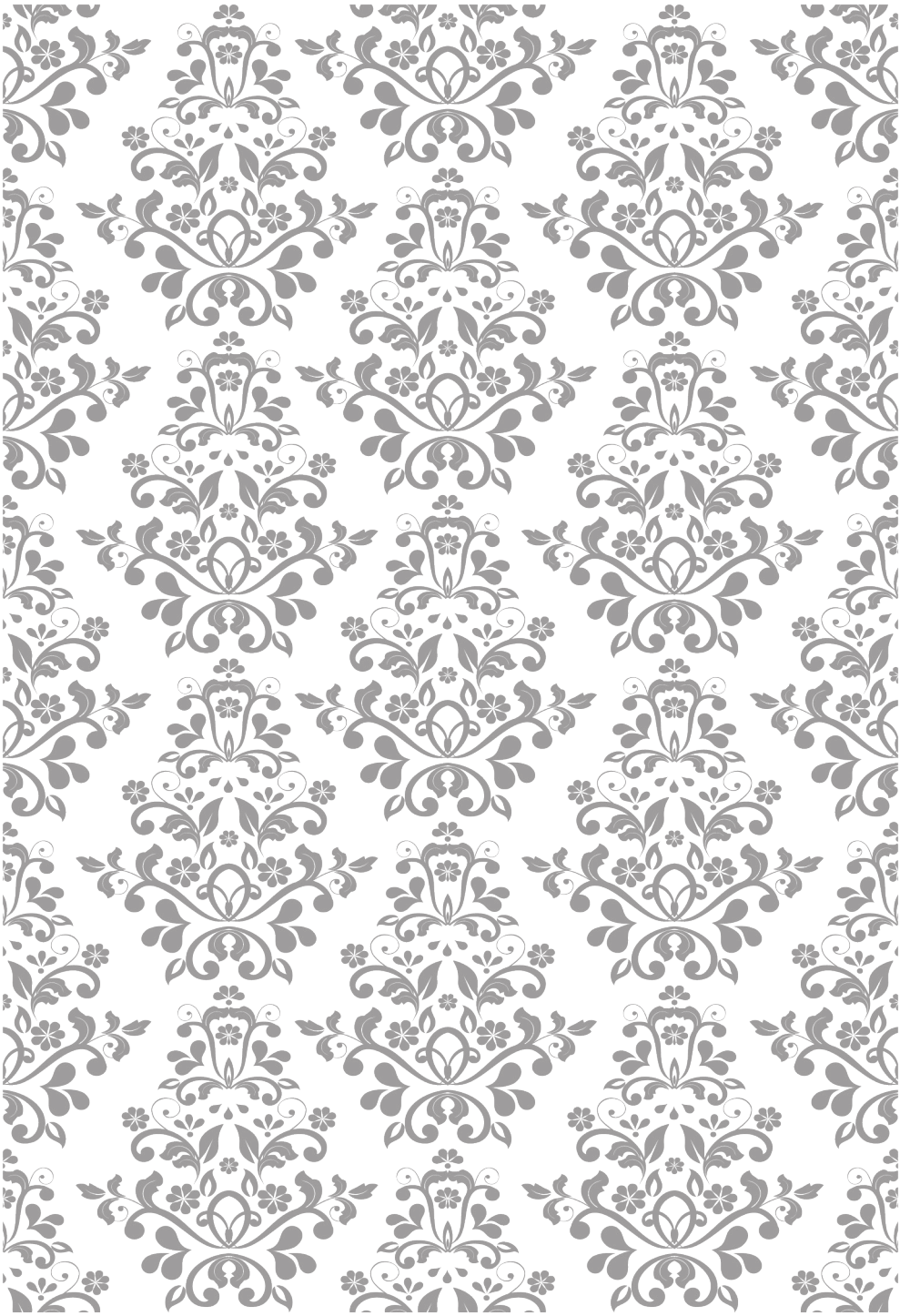

بسم الله الرحمن الرحيم
١٤٢٠

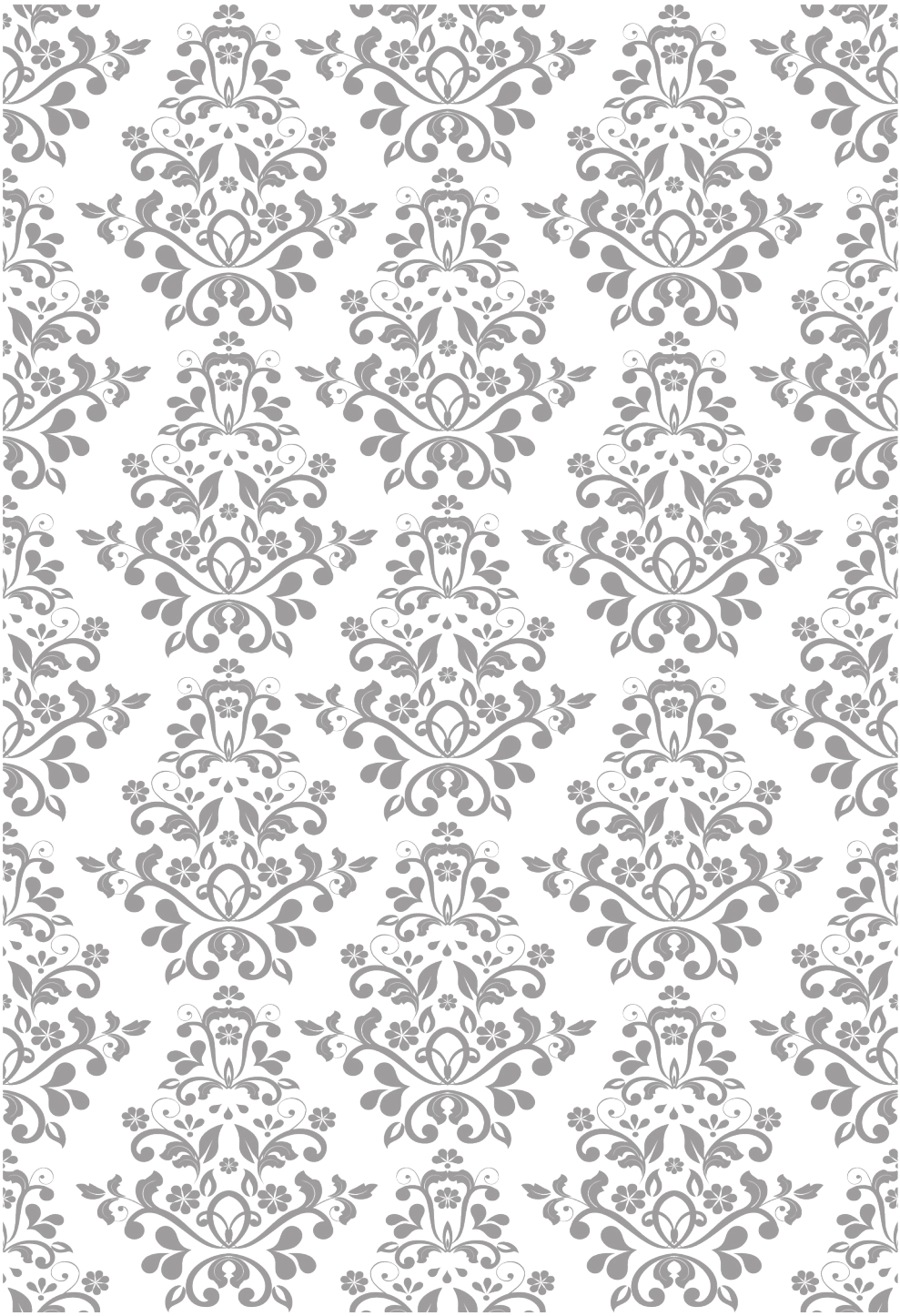

مقدمة
العلامة الشريف عبدالله فراج العبدلي

الحمد الله الذي جعل الطريق عبادة ثابتة عنه في كتابه الذي بعث به نبيه محمد بن عبد الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وأمره أن يبلغه لنا ويشرح لنا ما خفي علينا بقوله وفعله وإقراره.

وأخذ علماؤنا من مخزون علم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، ما أثروا به العقول والقلوب عن هذه العبادة، وكيف نقوم بها خالصة الله عَزَّوَجَلَّ جلية واضحة، ومنهم من سلك إليه طريقًا خطه بنفسه وفق ما جاء به الكتاب والسنة وما أجمعت عليه الأمة، ولم يخالف فيه ما عليه جمهورهم في ماضيها وفي حاضرها، وهذه الطرائق التي نعتوها بالصوفية ـ لن نختلف على الاسم وما يعنيه ـ فلا مشاحة في الاصطلاح، إلا أنها لم تبتدع عبادة ليس لها أصل في الشرع، فما هي إلا ذكر لله وتلاوة لكتابه وذكر لسنة نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وصلاة وصيام وحج، وقد يمضي أحدهم العمر كله في عبادة، ويكتفي من الدنيا بأقل القليل من طعام ولباس ومسكن، وغايته المثلى أن يصل إلى رضوان الله، فيكون من

المقربين إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، السباقين في الوصول إلى غاية ما دعاهم إليه فضلًا ورحمة.

وحينما جاءني ابن أخ لي عزيز، ألفته وألفني، وعشت معه زمانا، أفيد منه ويفيد مني، جمعتنا محبة سيدي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ومحبة العلم وأهله، وذاك هو فضيلة الدكتور محمد عبده يماني رَحِمَهُ اللَّهُ، وجعله في الآخرة من الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا.

أقول لما جاءني ابن أخي الأستاذ: ياسر محمد عبده يماني بالنسخة الأولى لمؤلفه المعنون «الطريق إلى الله» سررت به وبها أيما سرور، فها هو الابن يسير على خطى أبيه الرجل الصالح الذي منذ عرفته إلى أن لقي ربه لم أعرف عنه سوى الصلاح عملًا وقولًا، كان أقرب من عاشرت من إخواني، وأكرمهم عليّ، ما أن نلتقي حتى يأوي أحدنا إلى الآخر، نصل ما انقطع من حديث سابق جرى بيننا في لقاء سلف.

قد استطاع الابن البار أن يخلد للأب الكريم ما اكتسبه منه في اعتدال كما كان رَحِمَهُ اللَّهُ يصنع، وبعد عن الشطط التزامًا بشرع الله ومنهجه، فحدثنا عن طريق قوم أحبهم، ورفع اللبس عن طرائقهم وليقول لإخوانه نحن قوم لا نعرف البدعة، بمعنى أنا لا نضيف إلى الدين ما ليس منه، كما أننا لا نرتضى نقصًا فيه أو له تشويها، إنما نحن قوم لا نصدر إلا

عما جاء في كتاب الله، وسنة نبينا المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ نعبد الله كما شرع، ونسعى لرضوانه كما أمر، ونقتدى في ذلك ونتأسى بإمامنا الحبيب رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ الذي جعله ربه إمامًا للرسل وخاتمًا للنبيين.

وقد أجاد الأستاذ فيما كتب وإليه دعا، وإنما دعا إلى طريق الصالحين الذي ما سار أحد على دربهم إلا ونال الحظوة عند ربه بعلمه الصالح فاللهم ألحقنا بالصالحين غير خزايا ولا مفتونين.

كتبه: عبدالله فراج الشريف

جدة في: ١٤٣٧/٤/١٤هـ

الموافق: ٢٠١٦/١/٢٤م

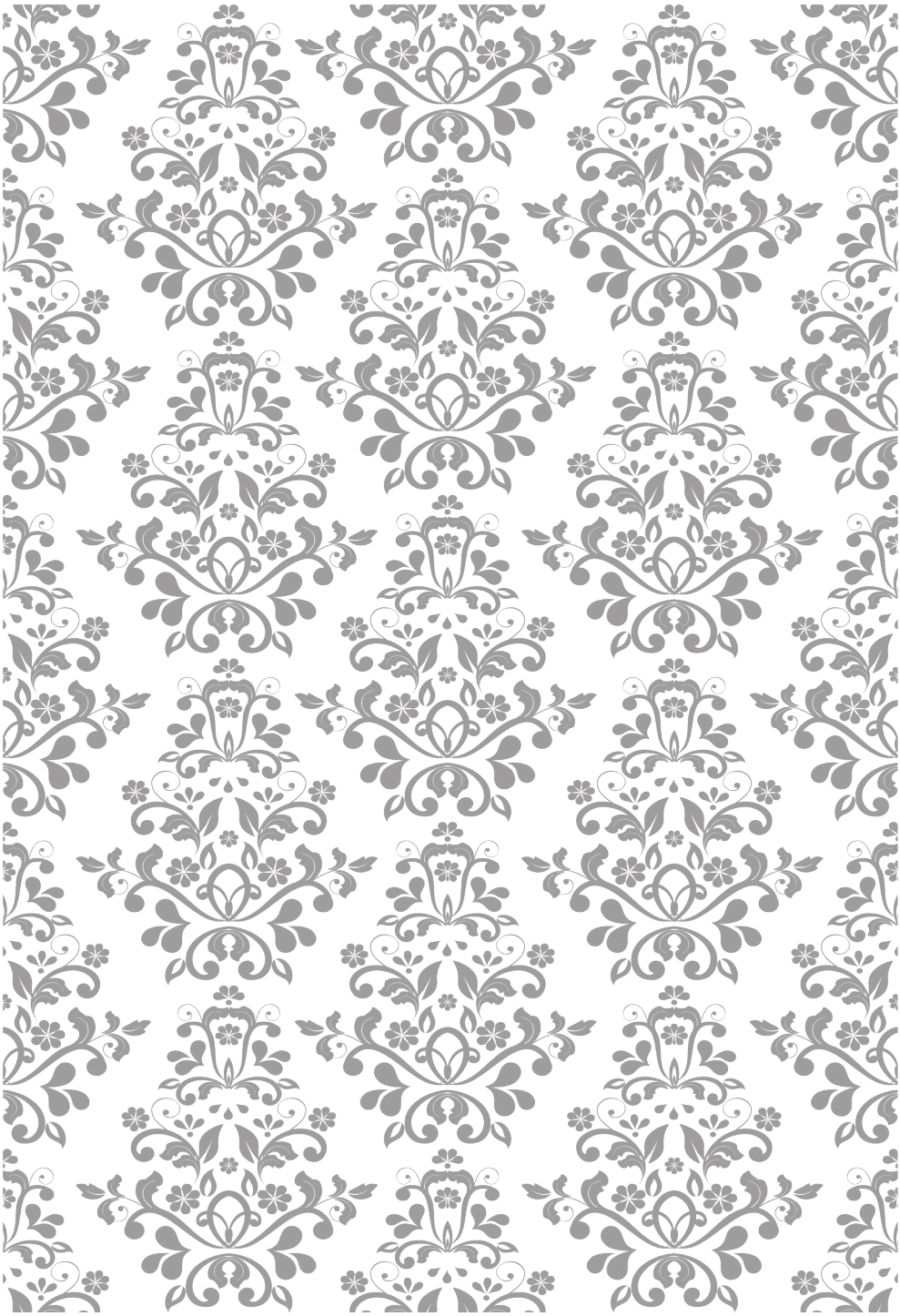

تقريظ العلامة الحبيب أبوبكر العدني ابن علي المشهور

الحمد لله (وبعد)..

من بواعث السرور أن أهدى إليّ الأخ الكريم الأستاذ ياسر محمد عبده يماني كتابه القيم «الطريق إلى الله» فاطلعت على محتواه ومبناه ومعناه، فرأيته أفاد وأجاد والتزم أسلوب العرض مع العزو والإسناد، وأضاف من صافي قريحته ما حلّى الهدف المراد، فجاء العمل متفردًا في عالم الافراد، ولعل المستعرض لرؤوس أقلام المواضيع المطروقة سيرى حقيقة ما أشرنا إليه منذ العنوان الأول، وعلى العموم فالوقفات الهامة التي وقف عليها الكاتب كانت ملخصًا مفيدًا لما يحتاجه القارئ المعاصر حول هذا الموضوع.

جزى الله الأستاذ ياسر خيرًا، ونفع الله بكتابه وجهوده، وأحيا به وبأمثاله سنن السلف التي أماتها الناس.. والله الموفق والمعين.

أبوبكر العدني ابن علي المشهور

١/جماد ثاني/١٤٣٧هـ

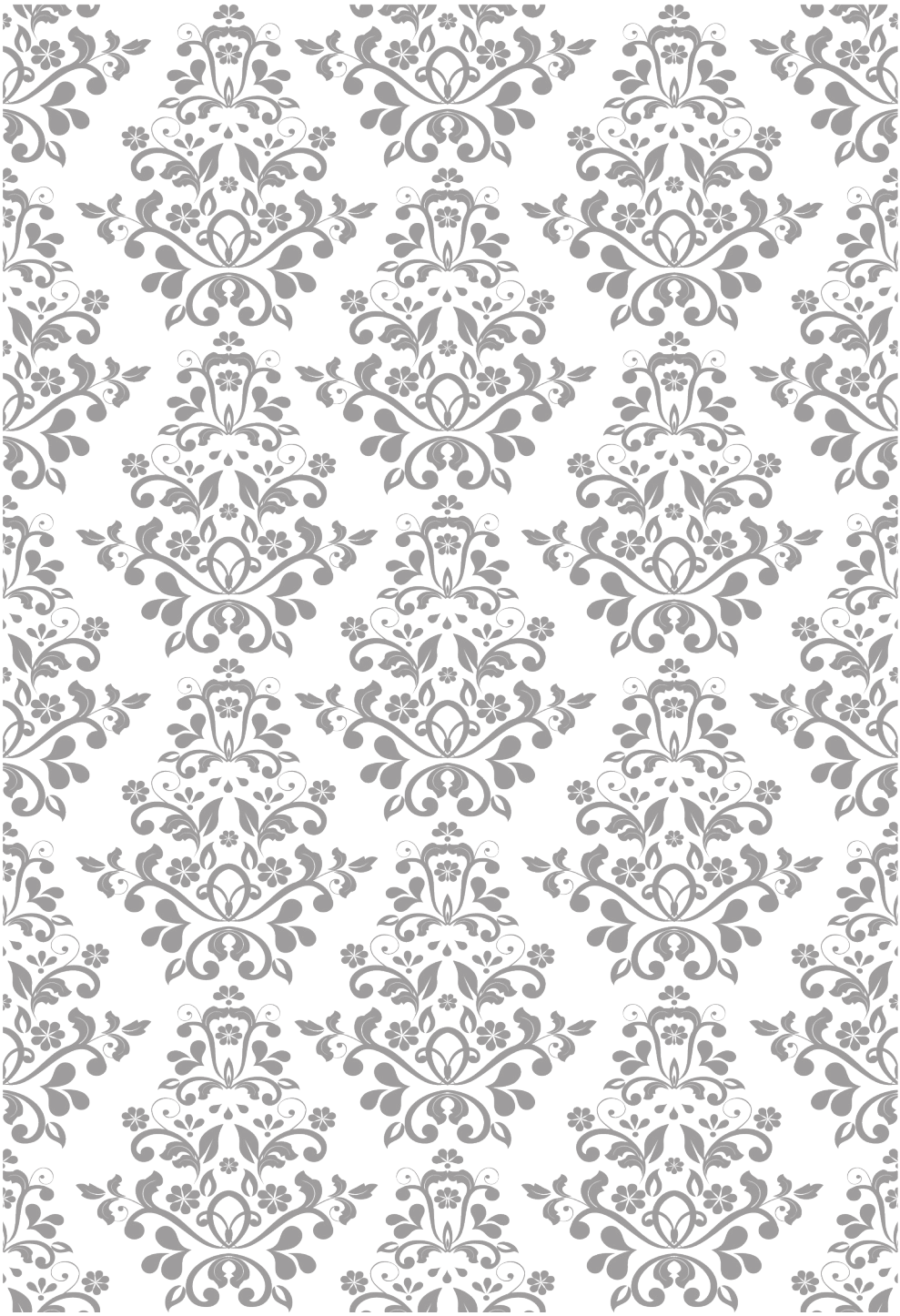

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصَحبه أجمعين.

نحمد الله حمدًا كثيرًا طيبًا ومباركًا يليق بعظمته وجلاله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، الفرد الصمد، الواحد الأحد، الملك القدوس، المنعِم المتفضِّل، خالق كل شيء، الذي أخرجنا بالحبيب المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ من الظلمات إلى النور، وأرشدنا لما يرضيه، فجزى اللهُ عنَّا سيدنا محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ خير ما جُوزي نبي عن أمته.

وقد علمنا الحبيب المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ لَا يَشْكُرُ اللهَ**»[1]. فنسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يجزيَ خير الجزاء آلَ بيتِ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ وصحابتَه الكرامَ البررَةَ والتابعين من عباد الله الصالحين الذين ساروا على هذا المنهج الرباني، حتى وصل إلينا

(١) رواه أبو داود الطيالسي (٢٦١٣)، وأحمد في «مسنده» (٧٥٠٤)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٢١٨)، وأبو داود (٤٨١١)، والترمذي (١٩٥٤)، وابن حبان في «صحيحه» بترتيب ابن بلبان (٣٤٠٧).

من مشايخنا ووالدينا الذين علمونا وربونا على ما يرضي الله ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فنُشهِد الله أنَّ كلَّ ذرةِ خيرٍ وُجدت فينا، وأنعم الله بها علينا، لهم فيها فضلٌ كبير، فنسأل الله أن يُجزِل لهم الثواب، لا سيما والدي ووالدتي وأجدادي وأخوالي وأعمامي الذين زرعوا فينا الخير، وسقوه بالقول والعمل والقدوة، وعلمونا كيف تكون طاعةُ الله منهجَ حياةٍ يكون فيها القلب والجوارح في تناغم على إيقاع الإيمان بالله والتوحيد وبالمنهج النبوي الشريف.

الفصل الأول

فلسفة ومنهج تربية النفس

* طبيعة النفس.
* منهج الطريق إلى الله.
* أدوات السالكين (الخضوع والانكسار والعمل الدؤوب).

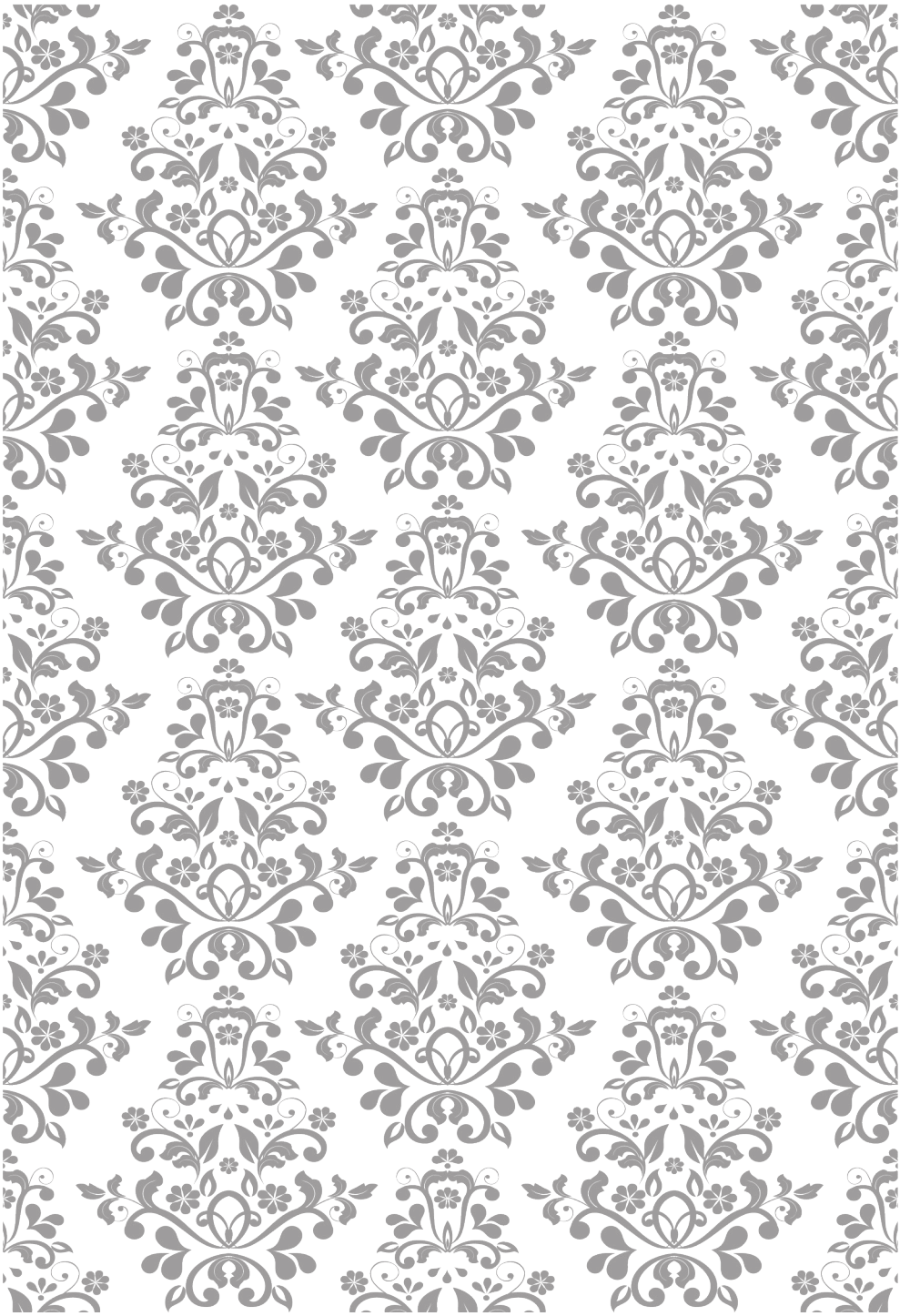

طبيعة النَّفس

سبحان اللّٰه الذي خلق الإنسان وأوجده من العدم، فله المِنَّة وله الحمد، وقد جاء الإنسان في خلقه على الفطرة حسب إرادته تعالى، ومختلفًا عن سائر المخلوقات، وجعل اللّٰه فيه الخير، وأوجد فيه المتناقضات، وجعله سبحانه متفردًا بالتكليف على هذه الكيفية، ولو نظرنا عبر التاريخ الإسلامي لوجدنا أن العلماء قد حللوا شخصيته ومكوناته، وكانت هناك كثير من الاجتهادات عند علماء الشريعة وعلماء السلوك، وعلى وجه الخصوص أهل الزهد الذين لهم في هذا المجال باع كبير.

وهذه الفطرة التي خلق اللّٰه تعالى بها الإنسان قد بينها رسول اللّٰه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في الحديث الصحيح عندما قال: «**مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ وَيُنَصِّرَانِهِ وَيُشَرِّكَانِهِ**»[1]. وفي حديث ابن نُمير: «**مَا مِنْ مَوْلُودٍ يُولَدُ إِلَّا وَهُوَ عَلَى المِلَّةِ**». وفي روايةِ أبي بَكر عن أبي مُعاوية: «**إِلَّا عَلَى هَذِهِ المِلَّةِ، حَتَّى يُبَيِّنَ عَنْهُ لِسَانُهُ**». وفي رواية أبي كُريب عن أبي مُعاوية: «**لَيْسَ مِنْ مَوْلُودٍ يُولَدُ إِلَّا عَلَى الْفِطْرَةِ حَتَّى يُعَبِّرَ**

(١) متفق عليه؛ البخاري (١٣٥٨)، ومسلم (٢٣/٢٦٥٨) واللفظ له.

عَنْهُ لِسَانُهُ»[1]، وهذا يعني أنها بَذْرة خير خلقها الله تعالى في الإنسان وخلق معها الشهوات والرغبات في نفس الوقت.

وقد استفاض الباحثون في علوم النفس عبر العصور، وأوضحوا أن الإنسان قد خُلق من جانب رُوحانيٍّ وجانب طينيٍّ عرفوه بـ(القالَب)؛ في إشارة إلى أن هذا الجانب هو الجانب الذي تنصرف إليه شهوات الجسد والنفس، والجانب الآخر هو الجانب الروحانيّ الذي يتعلق بالقلب والتقرب من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وكذلك أشار علماء السلف إلى طبيعة النفس وتعارفوا على أنها مخلوقٌ لا نراه، موجودٌ في الإنسان ويؤثر فيه، وهناك البعض مِمّن يجادل ويقول بأن النفس هي معنًى وليست مخلوقًا ماديًّا، وسواء أقررنا بأثرها في أفعالنا أو أقررنا بأنها مخلوق مادي لا نراه، فالكلّ قد اجتهد في تفسير الآيات القرآنية المتعلقة بها، والتي أشارت إليها، وهم في مجملهم قد نحَوْا إلى أن النفس واحدة ولها أنماط أو تصرفات، وقد كان لسلطان العلماء العزِّ بنِ عبد السلام في هذه النقطة المتعلقة بأنماطها استفاضاتٌ جميلة؛ فقسم النفس إلى عدة أقسام؛ هي النفس الأمارة بالسوء، والنفس اللّوَّامة، والنفس المطمئنة، والنفس الراضية والمرضية والْمُلْهَمة، وما إلى ذلك بحسب أوصافها المذكورة في القرآن كالتالي:

(١) أخرجه مسلم (٢٣).

النفس الأمارة

وهي التي تأمر الإنسانَ بالسيئات، والتي قال عنها القرآن الكريم: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٣] والتي يرى أهل الطريق قمعها وإماتتها حتى لا تؤثر على القلب الذي هو موطن الخير في الإنسان.

النفس المُلهَمَة

وهي النفس التي ألهَمَها الله عَزَّوَجَلَّ، والتي قال عنها القرآن الكريم: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾ [الشمس: ٧، ٨].

النفس اللوَّامة

وهي التي تندمُ بعد ارتكاب المعاصي والذنوب، فتلوم نفسها، والتي قال عنها القرآن الكريم: ﴿وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾ [القيامة: ٢].

النفس الذاكرة

وهي النفس التي تُداوم على الذكر والمشار إليها في الحديث القدسي: «**يَقُولُ اللَّهُ** عَزَّوَجَلَّ: **أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِي؛ إِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي**»[(١)]، وهي الطريق إلى النفس المطمئنة: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

(١) متفق عليه؛ البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢/٢٦٧٥).

النفس المُطمئنَّة

وهي النفس الآمنة التي لا يستفزُّها خوفٌ ولا حزن، والواصلة إلى مرحلة الاطمئنان والراحة والطاعة التامّة لأوامر اللّه، والمشمولة بعناياته الربانية، والتي قال عنها القرآن الكريم: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ﴾ [الفجر: ٢٧].

النفس الراضية

وهي النفس التي رضيت بما أُوتيت، والتي قال عنها القرآن الكريم: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ٢٧ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ﴾ [الفجر: ٢٧، ٢٨].

النفس المرضية

وهي النفس التي رضي اللّه عَزَّوَجَلَّ عنها، والتي قال عنها القرآن الكريم: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ٢٧ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ﴾ [الفجر: ٢٧، ٢٨].

تبدل أحوال النفس

وحقيقة الأمر أن النفس واحدة؛ ولكنها متقلبة بين هذه الأحوال حسب الحالة من الطاعة، والحالة التي فيها الإنسان، فإذا كان الإنسان منصرفًا إلى شهواته وإلى غير ما يُرضي اللّه سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ تكون نفسه في حالة النفس الأمَّارة بالسوء، ويكون صاحبها مسخَّرًا لها، أما إذا كان الإنسان في طورٍ من الصحوة واللجوء إلى اللّه، فتكون نفسه في حالة النفس اللوّامة، فيظل الإنسان خلالها في مجاهدة مع نفسه، فإذا روّضها

وتغلب عليها ـ وذلك يكون بوسائل كثيرة، منها رياضاتٌ تعبديّة، ومنها رياضاتٌ فكرية وتفكّر في خلق الله وفي آياته سبحانه ـ فذلك يقود الإنسان إلى أن يرتقيَ بنفسه فيوصلَها إلى حالة النفس الراضية، ثم بمزيدٍ من الترقي تصل إلى النفس المرضية، ثم إلى النفس المطمئنة وهكذا، فهي نفسٌ واحدة ولكنّ أحوالها تتبدل بتبدل حال الإنسان مع خالقه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وإذا ما نظرنا إلى موضوع الفطرة لوجدنا أن الإنسان مخلوق فيه بذرة خير؛ أي جانب خيري، وفيه أيضًا نفسٌ فيها تقلّب ولها أحوال ـ كما أسلفنا ـ ولكن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قد أنزل تشريعًا فيه تكليف بعبادات ومعاملات لها مقاصد وعلَلٌ ومآلات تقود هذه النفس وترشدُها إلى طرق الخير والصلاح التي يعمر بها الإنسان الحياة كما أرادها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ على هذه الأرض.

فالعبادات مثلًا تفيد الإنسان في الناحية الرُّوحانية، كما أنها في المقابل تنعكس على سلوكه وتنعكس على نفسه فتوجّهها إلى النهج الصحيح والتعامل الأمثل مع مَن حولَها لما فيه المصلحة العامة وعمارة الأرض، فمرتاد المساجد مثلًا يُحِسّ براحة نفسية تفوق غيره، وهو عندما يؤدي الطاعة يحصل على منافع دنيوية في سلوكه ويحصل على منافع أخرى أخروية وعده الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بها، فكل تكاليف المسلم في هذه

الدنيا في حقيقة الأمر لا تبعد عن منفعة دنيوية مباشرة يحصل عليها الإنسان ومنفعة أخروية خالدة يفوز بها إذا ما سار على الطريق وأحسن الله خاتمته.

ومن هنا نرى أن هذا التوصيف وهذه الصورة التي سبقَنا إليها علماءُ السلوك والتصوف من وجود قالَبٍ خارجيٍّ طينيّ، وجزء داخلي نوراني متمثل في الرُّوح واللطائف النورانية التي تقرب السلوك إلى الله، سواء اعترفنا بها أو اعترفنا بما هو ثابت عنها من المعاني المتحققة مع الأفعال هو حقيقةً دليل على وجودها، والمسلم على ما يطمئن إليه قلبه، فسواء آمنت بوجودها أو آمنت بأثر السلوك المتحقق والمعاني المتحققة منها فالأمران سِيَّانِ؛ لأنهما سيدفعانِكَ في نفس الاتجاه، وهو طاعة الله والتقرب إليه، وتلك لا شك هي الحكمة من خلق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى للإنسان وإيجاده من العدم وما تبعها من ظاهر التكليف بالعبادات والطاعات، وهو سبحانه الصمدُ لا ينتفع من خَلْقِه بشيء وإنما خلْقُه هم الذين يحتاجون إليه في كل شيء، هم الفقراء إليه وهو الغني عنهم، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥].

منهج الطريق إلى الله

وعندما نناقش مسألة خلق الإنسان بما فيه من المتناقضات نجد أن من سبقت إليهم الرحمة الإلهية سيختارون طاعة الله؛ لأنه سبحانه قد خلقهم بعدله بهذه الكيفية، ثم وعد المطِيع بالجوائز، ووعد المسرف بالرحمة، واشترط التوحيد، بعد إعمال العقل والتفكير، وتدبر خلق الله للكون، وما اكتنفه من إعجاز يهدي الإنسان إلى توحيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فأنت مثلًا إذا أمعنت النظر في مختلف الأشياء من حولك، إن كنت تعمل في مجال علمي أو مجال اجتماعي أو غير ذلك، وتفكرت في خلقها ستجد أنها جميعًا تهديك إلى وحدانية الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ لأنه سبحانه خالقها وحده لا شريك له، وهو يقول: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام: ١٠٢].

ومن هنا رأيتُ أن نلخص منهج الطريق إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في نقاطٍ بسيطة ومراحلَ متتالية يمكن لنا جميعًا أن نأخذَها كمنهج عملي نعمل به، فالإنسان كي يسلك الطريق إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يجب أن يأخذ بالأسباب، وهذه الأسباب تنقسم إلى جانب جسدي وجانب روحي، وفي الحالتين فإن العقل هو المتحكم، وهو ما يميزه عن باقي المخلوقات،

ولذلك جعل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في شريعته السمحاء مناط التكليف هو العقل، فإذا اختل عقل الإنسان أو أصابه أي عارض سقط التكليف؛ لأن الإنسان لا يمكن أن يروض جوارحه ويروض نفسه إلا من خلال التفكر واستخدام العقل وإمعان الفكر في معاني الأوامر الإلهية، وهذه المراحل كما يلي:

المرحلة الأولى: الفرار مما توعد الله به العاصين

وهي مرحلة يمكن أن يتخذها الإنسان خطوة أولى في الطريق إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، أو كما أحببتُ أن أُسمّيَها: الفرار ممّا توعد الله به العاصين والمذنبين والمفرطين؛ لأن النفس البشرية الأمارة بالسوء يجب أن تُرَوَّض، ولا يكون الترويض إلا بمحبة الله والرغبة في الوصول إلى رضاه، ثم الخوف من سوء العاقبة، التي ذكرها الله في آيات كثيرة، مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٦٥]، وقوله سبحانه: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الرعد: ٦]، وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ ۖ﴾ [غافر: ٣]، وكذلك قوله تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ﴾ [الحجر: ٤٩، ٥٠]، وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ [البروج: ١٢]. ويأتي بعدها الترغيب: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ﴾ [البروج: ١٤].

وقد وصف الله تعالى حال أهل الكفر يوم القيامة في قوله: ﴿وَسِيقَ

ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٧١ قِيلَ ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ﴾ [الزمر: ٧١، ٧٢].

وقد حذر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مما قد يفضي إليه التفريط والعصيان في أحاديث صحيحة كثيرة، فعن أسامة بن زيد قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**يُجَاءُ بِالرَّجُلِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ، فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُهُ**[1] **فِي النَّارِ، فَيَدُورُ كَمَا يَدُورُ الحِمَارُ بِرَحَاهُ، فَيَجْتَمِعُ أَهْلُ النَّارِ عَلَيْهِ فَيَقُولُونَ: أَيْ فُلَانُ، مَا شَأْنُكَ؟ أَلَيْسَ كُنْتَ تَأْمُرُنَا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَانَا عَنِ المُنْكَرِ؟ قَالَ: كُنْتُ آمُرُكُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ، وَأَنْهَاكُمْ عَنِ المُنْكَرِ وَآتِيهِ**»[2].

ولما سأل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أصحابه: «**أَتَدْرُونَ مَنِ الْمُفْلِسُ؟**» قَالُوا: المُفْلِسُ فِينَا يَا رَسُولَ اللهِ مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ. قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**المُفْلِسُ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَأْتِي يَوْمَ القِيَامَةِ بِصَلَاتِهِ وَصِيَامِهِ وَزَكَاتِهِ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيَقْعُدُ فَيَقْتَصُّ هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ**

(١) أي: أمعاؤه.

(٢) متفق عليه؛ البخاري (٣٢٦٧)، ومسلم (٥١/٢٩٨٩).

حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْتَصّ مَا عَلَيْهِ مِنَ الخَطَايَا أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ»[1].

ويتضح لنا من هذه النصوص عِظم العقوبة التي توعد بها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ العاصين والمذنبين ـ نجانا الله وإيَّاكم منها ـ ولكن هذه المرحلة مهمة لكي يتمعن الإنسان فيها حتى يُخضِع نفسه للخوف من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والخوف من سوء العاقبة، ليس في الآخرة فقط وإنما في الدنيا كذلك؛ لأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ جاء توعده للإنسان على المعاصي والآثام في الآخرة وعجل شيئًا في الدنيا.

ومن مشاهد العذاب على المعاصي والآثام تلك التي وردت في قصة الإسراء والمعراج؛ عندما سأل النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ جبريلَ عن حال أقوام مرَّ بهم، بعضهم يُنعَّم بما وعده الله من خير وفير، والبعض الآخر يعذبه الله بسوء العذاب لعصيانه؛ ففي الحديث الذي رواه أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **«أَنَّ رسولَ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ **أُتِي بفرَسٍ يجعلُ كُلَّ خطوٍ منه أَقْصَى بَصَرِهِ، فسارَ وسارَ معَهُ جبريلُ** عَلَيْهِ السَّلَامُ**، فأتَى على قَومٍ يَزْرَعونَ فِي يوم وَيَحْصُدونَ فِي يَوْمٍ، كلَّما حَصَدُوا عاد كما كانَ، فقال: يا جِبْرِيلُ، مَنْ هَؤُلَاءِ؟ قال: هؤُلاءِ الْمُجاهدونَ فِي سَبيلِ اللهِ، تُضاعَفُ لَهُمُ الْحَسَنةُ بِسَبْعِ مِئَةِ ضِعفٍ، وما أَنْفَقُوا من شيءٍ فَهُوَ يُخلِفُه.**

(١) أخرجه مسلم (٢٥٨١/٥٩) والترمذي (٢٤١٨) واللفظ له.

ثمَّ أتَى على قَومٍ تُرضَخُ رُؤُوسُهُمْ بالصَّخرِ، كلَّما رُضِخَتْ عادتْ كما كانتْ، ولا يفتُرُ عنهمْ مِن ذلكَ شيءٌ، قال: يا جبريلُ، مَن هؤلاءِ؟ قال: هؤلاءِ الَّذين تثاقلتْ رُؤُوسُهم عنِ الصَّلاةِ.

ثمَّ أتَى على قومٍ على أَدبارِهم رِقاعٌ وعلى أَقبالِهم رِقاعٌ يَسرَحون كما تَسرَحُ الأنعامُ إلى الضَّريعِ والزَّقُّومِ ورَضفِ جَهَنَّمَ، قال: ما هَؤُلاءِ يا جِبْرِيلُ؟ قال هؤُلاءِ الَّذين لا يُؤدُّون صَدَقاتِ أموالِهم، وما ظَلَمَهُمُ اللّهُ، وما اللّهُ بظَلَّامٍ لِلْعَبيدِ.

ثمَّ أَتَى على قَوْمٍ بَيْنَ أَيدِيهِم لَحْمٌ فِي قدْرٍ نَضِيجٌ ولَحْمٌ آخَرُ نِيءٌ خَبِيثٌ، فجَعَلُوا يَأكُلونَ الخبيثَ ويَدَعونَ النَّضِيجَ الطيِّبَ، قال: يا جِبريلُ، من هؤُلاءِ؟ قال: هذا الرجلُ من أُمّتك يقومُ من عندِ امرأَتِه حَلَالًا، فيأتِي الْمَرْأَةَ الْخَبيثَةَ، فَيبيتُ مَعَهَا حتَّى يُصْبِحَ، والْمَرْأَةُ تَقُومُ مِن عِندِ زَوْجِهَا حَلَالًا طَيِّبًا، فَتَأتِي الرّجُلَ الْخَبيثَ، فتَبيتُ عندَهُ حتَّى تُصْبِحَ.

ثمَّ أَتَى على رَجُلٍ قدْ جَمَعَ حُزْمَةً عظيمةً لا يَستطيعُ حَمْلَها وهو يريدُ أَنْ يَزيدَ عليها، قال: يا جبريلُ، ما هذا؟ قال: هذا رجلٌ مِن أُمَّتِكَ عليه أَمَانةُ النَّاسِ لا يستطيعُ أَداءَها، وهُو يُريدُ أَنْ يَزيدَ عَلَيْهَا.

ثمَّ أَتَى على قَوْمٍ تُقرَضُ شِفاهُهمْ وَأَلسنَتُهم بمقاريضَ حديدٍ، كُلَّمَا قُرِضَتْ عَادتْ كما كانتْ، لا يَفتُرُ عنهم من ذلك شيءٌ، قال: يا جبريلُ، ما هؤُلاءِ؟ قال: خُطَباءُ الفِتنَةِ.

ثمَّ أتَى على جُحرٍ صغيرٍ يخرُجُ منه ثوْرٌ عظيمٌ، فيُريدُ الثَّورُ أنْ يَدخُلَ من حيثُ خرجَ فلا يستطيعُ، قال: ما هذا يا جبريلُ؟ قال: هذا الرَّجلُ يتكلَّمُ بالكلمةِ العظيمةِ فيندَمُ عليها فيُريدُ أن يرُدَّها فلا يستطيعُ.

ثمَّ أتَى على وادٍ فَوَجَدَ ريحًا طيِّبةً ووجد ريحَ مِسكٍ مع صوتٍ، فقال: ما هذا؟ قال: صوتُ الجنَّةِ تقولُ: يا ربِّ، ائتِني بأهلي وبما وعدتَني، فقد كثُر غَرْسي، وحَريري وسُندسي وإِسْتَبْرَقِي وَعَبْقَرِيِّي، ومَرْجَاني وفِضَّتي وذَهَبي، وأكوابي وصِحافي وأباريقي، وفواكهي وعَسَلي ومائي ولبني وخَمري، ائتِني بما وعدتَني. قال: لكِ كلُّ مسلمٍ ومسلمةٍ ومؤمنٍ ومؤمنةٍ، ومن آمن بي وبرسلي، وعمِل صالحًا ولم يُشرِكْ بي شيئًا، ولم يتَّخِذْ من دوني أندادًا فهو آمِنٌ، ومن سألني أعطيتُه، ومن أقرضني جزيْتُه، ومن توكَّل عليَّ كفَيْتُه، إنِّي أنا اللهُ لا إلهَ إلَّا أنا، لا خُلْفَ لِميعَادي، قد أفلحَ المؤمنونَ، تبارك اللهُ أحسنُ الخالقينَ، فقالت: قد رَضيتُ.

ثمَّ أتَى على وادٍ فسمِع صوتًا مُنكَرًا، فقال: يا جبريلُ، ما هذا الصَّوتُ؟ قال: هذا صوتُ جهنَّمَ تقولُ: يا ربِّ، ائتِني بأهلي وبما وعدتَني، فقد كثُرتْ سَلاسلي وأغلالي، وسَعيري وحَميمي، وغَسَّاقي وغِسْلِيني، وقد بعُد قَعري، واشتدَّ حرِّي، ائتِني بما وعدتَني. قال: لكِ كلُّ مُشْرِكٍ ومشركةٍ، وخَبيثٍ وخَبيثةٍ، وكلُّ جبَّارٍ لا يُؤمِنُ بيومِ الحسابِ. قالتْ: قد رَضِيتُ»[1].

(١) رواه البزار في «البحر الزخّار» (٩٥١٨)، وذكره المنذري في «الترغيب=

وفي مرحلة الفرار مما توعّد الله إذا صدق الإنسان في التمعّن في العواقب لا بد أن يكون لها أثر في نفسه الأمارة بالسوء، فيصيبها الخوف من الله، والخضوع والخشوع، ويجب أن يكسرها بالخوف من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ومن سوء العاقبة، وهذه مرحلة مهمّة حتى تكون رادعًا للنفس، ولعله من حكمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن بيّن لنا العذابَ وأنواعَهُ وأهواله وسوءَ عاقبة العاصي حتى يُعملَ الإنسان فكرَهُ في هذه العواقب ويتمثّل عِظم وهول هذا الوعيد، فينعكس على النفس الأمّارة بالسوء ويدكّها دكًّا.

ومن الأهمية بمكان في هذه المرحلة ترويض الجوارح، فالجوارح تتبع العقل وتتبع النفس، إلا أن الجوارح يمكن للإنسان أن يروضها أيضًا من خلال رياضات معينة، وقد جاء عن سيدنا عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قوله: «**أَكُلّ مَا اشْتَهَيْتُمُ اشْتَرَيْتُمْ؟**»[1] أي إنه وإن كان مباحًا يجب أن تعوِّد نفسك على أن تَكبتها لِتكون أنت المسيطرَ، لا لتحرِّم ما أحلَّ الله، ولكنه تمرين

=والترهيب» (١١٤٠) و(٥٥٣٤) وصدَّره بما يفيد أنه صحيح أو حسن عند بعض مَن خرّجه، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد ومنبع الفوائد» (٤٣٦/١): رجاله موثّقون إلا أن الربيع بن أنس قال: عن أبي العالية أو غيره، فتابعيُّه مجهول.

(١) رواه مالك في «الموطأ» (٩٣٦/٢)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (٢٨٤٨)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢٥٠١٢)، وأحمد في «الزهد» (٦٥٣)، وأبو داود في «الزهد» (٦٢)، والحاكم في «مستدركه» (٤٥٥/٢) واللفظ له.

ورياضة للإنسان حتى يكون ممسكًا بزمام أمره، ولا ينقاد لنفسه التي قد تورده المهالك.

وفي هذا الصدد هناك رياضات كثيرة، وقد استفاض العلماء فيها، بحيث يمكن للإنسان أن يعوّد نفسه، فيأخذ من الحلال ما يشاء وقتما يشاء، لا أن يكون مستدرَجًا تبعًا لشهواته، فتستدرجه إلى ما هو محرم، وقد قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع ما لا بأس فيه حذرًا لما به البأس**»(١).

وفي هذه المرحلة يتوجب على الإنسان أن يتغلب على نفسه بقدر المستطاع؛ حتى يروضها ويصبح هو صاحب الزمام، وأن يزرع فيها الخوف من الله، بحيث يكون زرعًا ثابتًا، ويسقيه بالطاعة والتذكير: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥]. ومعنى (ذَكِّر) هنا أن تروي ما زرعته في نفسك من الخوف من الله دائمًا وباستمرار؛ لتظل الذكرى قائمة وحاضرة في نفسك تقودك إلى الخوف من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وخشيته؛ حتى تمتثل النفس طائعة، وتبعًا لها الجوارح، وهذه مرحلة مهمة جدًّا، وتعتبر من أصعب المراحل؛ لأنها بداية الصراع الحقيقي بين المتناقضات داخل الإنسان، والمحفزاتُ فيها كثيرة، فمنها المداومة على الأذكار، والتفكر في خلق الله وآلائه، ومنها الصحبة الصالحة؛ تذكّرهم

(١) أخرجه الترمذي في «جامعه» (٢٤٥١)، وابن ماجه في «سننه» (٤٢١٥).

ويذكّرونك بكثرة قراءة القرآن وتدبر آياته التي جاءت في سوء العواقب وأخبار الأمم التي أسرفت على نفسها، وجميع هذه المحفزات تجعل عملية تحول النفس والسيطرة على الجوارح عملية أسرع وأيسر؛ لأنه كلما استعان الإنسان بمختلف أنواع المحفزات كانت النتيجة أفضل، ولكن يجب أن نراعي أن استخدام المحفزات يكون بميزان أيضًا، فيوغل الإنسان فيه برفق؛ لأنها مرحلة تقويم للنفس، فإذا كانت الجرعات زائدة عن الحد فقد تنفر النفس وتستسهل من شدة نفورها الانغماس في الذنب والخطيئة.

وهنا تأتي النتيجة التي يصل إليها الإنسان بعدما يكون قد تشرَّب قلبه ونفسه وجوارحه الخوف من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، بحيث يصبح الخوف ماثلًا أمام عينيه بالمعنى وبالتحقق، فيكون حافزًا لتجنب المعاصي والآثام وكل ما لا يُرضِي الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولنا في رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ أسوة حسنة في هذا الباب، وفي جميع الأبواب.

المرحلة الثانية: مرحلة التجارة مع الله

ثم تأتي المرحلة الثانية، وهي مرحلة التجارة مع الله، فإذا كانت مرحلتنا الأولى هي الفرار من عذاب الله ووعيده وأهوال القيامة والنار والقبر وسوء العاقبة في الدنيا والآخرة، فالمرحلة الثانية بعد أن تُكبت النفس وتُلجم، ويصبح الإنسان متمثلًا خوف الله، ويأتي دور التنمية والترغيب،

ونسميها التجارة مع الله، بأن يبدأ الإنسان يتفكر ويمعن النظر فيما أعده الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ للمطيعين وللمؤمنين وللصالحين وللمتبتلين التائبين الأوابين من مختلف العطايا والجوائز والهدايا، وما وعد به خلقه في الدنيا والآخرة في العديد من الآيات القرآنية، مثل: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗۖ وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ﴾ [النحل: ٤١] والآية الكريمة: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنۡهَا مِن ثَمَرَةٖ رِّزۡقٗا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗاۖ وَلَهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَهُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٥]، وكذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ﴾ [الحج: ٢٣]، وقوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦١]، وقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗاۚ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا﴾ [النساء: ١٢٢]، وقوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [التوبة: ٧٢].

ومنَ العطايا والهدايا ما جاء في الحديث النبوي الشريف عن

أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ. فَاقْرَؤُوا إِنْ شِئْتُمْ قَوْلَهُ تَعَالَى:** ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧]»[(١)].

ومن ذلك حديثه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عما في الجنة من النعيم الذي أعدَّه الله للمؤمنين عن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «**إِنَّ لِلْمُؤْمِنِ فِي الْجَنَّةِ لَخَيْمَةً مِنْ لُؤْلُؤَةٍ وَاحِدَةٍ مُجَوَّفَةٍ طُولُهَا سِتُّونَ مِيلًا، لِلْمُؤْمِنِ فِيهَا أَهْلُونَ يَطُوفُ عَلَيْهِمُ الْمُؤْمِنُ فَلَا يَرَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا**»[(٢)].

ومما جاء أيضًا عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في أمر الجنة قوله: «**إِنَّ فِي الْجَنَّةِ سُوقًا يَأْتُونَهَا كُلَّ جُمُعَةٍ، فَتَهُبُّ رِيحُ الشَّمَالِ فَتَحْثُو فِي وُجُوهِهِمْ وَثِيَابِهِمْ، فَيَزْدَادُونَ حُسْنًا وَجَمَالًا، فَيَرْجِعُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ وَقَدِ ازْدَادُوا حُسْنًا وَجَمَالًا، فَيَقُولُ لَهُمْ أَهْلُوهُمْ: وَاللَّهِ لَقَدِ ازْدَدْتُمْ حُسْنًا وَجَمَالًا، فَيَقُولُونَ: وَأَنْتُمْ وَاللَّهِ لَقَدِ ازْدَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْنًا وَجَمَالًا**»[(٣)].

وفي هذا الباب كما رأينا في النصوص السابقة الجوائز كبيرة،

---

(١) متفق عليه؛ البخاري (٣٢٤٤)، ومسلم (٢/٢٨٢٤).

(٢) متفق عليه؛ البخاري (٣٢٤٣)، ومسلم (٢٣/٢٨٣٨)، واللفظ له.

(٣) رواه مسلم (١٣/٢٨٣٣).

والعطايا كثيرة، والسُّبُل متعددة، منها ما هو تعبديّ، ومنها ما هو تفكري، ومنها ما هو معاملات وإعمار أرض، وجميع ما يفعله المسلم يُثاب عليه، وقد قيل: بصلاح النيّات تُصبح العادات عباداتٍ، وبفساد النيّات تُصبح العبادات عاداتٍ؛ لأن كل ما تفعله إذا كانت نيتك فيه الخير، وكنت مطيعًا فيه للّٰه، أفضى إلى الجوائز والعطايا من الكريم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وبهذا المعنى نرى أن هناك كثيرًا مما يمكن أن يعمله الإنسان؛ لأن هذه المرحلة تساعد النفس التي روضت على أن تكون تواقة للجوائز، تواقة للعطايا، تواقة لكرم اللّٰه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، تواقة للتعرض لرحماته سبحانه، وما وعد به عباده المطيعين الصالحين المؤمنين، فتجتهد وتأخذ بالأسباب لتنهل وتنهل، والنفس مجبولة على الطمع، ولكن الطمع هنا محمود، فأنت تطمع في رحمة اللّٰه وفي عطائه، وهذا طريق واسع كبير ليس له حدٌّ، فعطاء اللّٰه ليس له سقف، فسبحانه وتعالى يضاعف لمن يشاء، ويخفي رضاه في طاعاته، وهناك أبواب كثيرة في هذا المجال يمكن أن نسترسل فيها.

وأهم ما يطرأ على الإنسان وعلى النفس البشرية في هذه المرحلة أنها تتقلب بين النفس الراضية والمرضية بطاعة اللّٰه حتى تصل إلى النفس المطمئنة، وفي كل مرحلة من هذه المراحل يرى الإنسان لذة هذه الطاعة وهذا الاجتهاد في الدنيا قبل الآخرة، وللطاعة لذة لا يجاريها

أيّ شيء في الدنيا، فالمقبل على اللهِ يقبل عليه اللهُ أكثر مما هو مقبل عليه؛ كما جاء في الحديث الذي رواه أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «**يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذكَرَنِي، فإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفسه ذَكَرتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُه فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقرَّبَ إليَّ بِشِبْرٍ تَقرَّبتُ إليه ذِراعًا، وإِنْ تقرَّبَ إليَّ ذِراعًا تَقرَّبتُ إليه بَاعًا، وإِنْ أَتاني يَمْشِي أَتيتُهُ هَرْولةً**»[1].

فالتقرُّب إلى الله والتعرض لعطاياه وكرمه سيرقى بالإنسان عاليًا كما ورد في الحديث القدسي: «**مَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بالنَّوافلِ حتَّى أُحِبَّهُ، فإذا أَحْبَبْتُهُ كُنتُ سَمْعَهُ الَّذي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتي يَمْشِي بِهَا**»[2].

وهذه مرحلة جميلة، ولكن أجمل ما فيها أن الإنسان وهو يسلك الطريق في بدايتها ويزيد من طاعاته سيكتشف أمرًا جللًا، وهو أن العطاء الرباني عطاء عظيم لا يتناسب مع ما يبذله الإنسان من طاعات ومن قُربات، فأنت تقول بضع كلمات فيعطيك بها ملء الدنيا وما فيها، وأنت تلجأ إلى الله بخطوة والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يقبل عليك بخطوات وخيرات، وهذا يورث الإنسان شعورًا بعظمة الله، وبأن هذا العطاء وهذا النوع من

(١) متفق عليه؛ البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢/٢٦٧٥).

(٢) رواه البخاري (٦٥٠٢).

التعامل هو تعاملٌ ربانيٌّ لربٍّ تفرَّدَ سبحانه، واحدٍ أحدٍ، كثيرِ العطاء، كريمٍ، ليس كمثله شيء، فيُنشئُ هذا الإحساسَ بعظمة الله في نفسه، وبتنزيهه سبحانه وبالخضوع له، وهذا هو أجمل ما يمكن أن يشعر به الإنسان نتيجة إقباله على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

والشواهد التي تدل على العطاء الكبير الذي لا يتناسب مع ما يقدمه العبد من عمل يسير كثيرة في السنة المطهرة؛ مثل قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: **«مَنْ شَهِدَ أَنْ لا إِلَهَ إلا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ النَّارَ»**(١).

و**«مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، فِي يَوْمٍ مِئَةَ مَرَّةٍ، حُطَّتْ عَنْهُ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ»**(٢).

و**«مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ، أَعْتَقَ اللهُ رُبُعَهُ مِنَ النَّارِ، وَلَا يَقُولُها اثْنَتَيْنِ إِلَّا أَعْتَقَ اللهُ شَطْرَهُ مِنَ النَّارِ، وَإِنْ قَالَها أَرْبَعًا أَعْتَقَهُ اللهُ مِنَ النَّارِ»**(٣).

و**«مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، غُرِسَتْ لَهُ نَخْلَةٌ فِي الجَنَّةِ»**(٤).

(١) متفق عليه؛ البخاري (٣٤٣٥)، ومسلم (٢٧/٢٩) واللفظ له.

(٢) متفق عليه، البخاري (٦٤٠٥)، ومسلم (٢٨/٢٦٩١).

(٣) عُزي في «الترغيب والترهيب» (٢٤١١) وفي «مجمع الزوائد» (١٦٨٣٣) إلى الطبراني في معجمَيْه «الكبير» و«الأوسط».

(٤) رواه الترمذي (٣٤٦٤) وقال: حسن صحيح غريب، وابن حبان في «صحيحه»

و«مَنْ قَالَ: رَضِيتُ بِاللهِ رَبًّا، وَبِالإسلامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ رَسُولًا وَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةُ»(١).

و«مَنْ سَبَّحَ اللَّهَ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلاةٍ ثَلَاثًا وَثَلاثِينَ، وَحَمِدَ اللَّهَ ثَلاثًا وَثَلَاثِينَ، وَكَبَّرَ اللَّهَ ثَلاثًا وثلاثِينَ، فَتْلِكَ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ، وقالَ تَمَامَ الْمِئَةِ: لا إلهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لهُ، لهُ المُلْكُ وله الحَمْدُ، وَهُوَ علَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، غُفِرَتْ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ»(٢).

و«مَنْ قَرَأَ آيَةَ الْكُرْسِيِّ دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ لَمْ يَمْنَعْهُ مِنْ دُخُولِ الجَنَّةِ إِلَّا أَنْ يَمُوتَ»(٣).

و«مَنْ قَالَ فِي دُبُرِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَهُوَ ثَانٍ رِجْلَيْهِ قَبْلَ أَنْ يَتَكَلَّمَ: لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، يُحْيِي وَيُمِيتُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ

بترتيب ابن بلبان (٨٢٦، ٨٢٧)، والحاكم في «مستدركه» (١/٥٠١) وقال: صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه. من حديث جابر. ورواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٠٠٥١) و(٣٠٠٦٤)، والبزار (٢٤٦٨) بسند جوّده الحافظ المنذري في «الترغيب والترهيب» (٢٣٧٧) من حديث عبد الله بن عمرو.

(١) رواه مسلم (١١٦/١٨٨٤)، وأبو داود (١٥٢٩) واللفظ له، وابن حبان في «صحيحه» بترتيب ابن بلبان (٨٦٣، ٤٦١٢)، والحاكم في «مستدركه» (١/٥١٨).

(٢) متفق عليه؛ البخاري (٨٤٣)، ومسلم (١٤٦/٥٩٧)، واللفظ له.

(٣) قال الحافظ المنذري في «الترغيب والترهيب» (٢٤٦٨): رواه النسائي والطبراني بأسانيد أحدها صحيح وقال شيخُنا أبو الحسن: هو على شرط البخاري، وابن حبان في كتاب الصلاة وصحّحه، وزاد الطبراني في بعض طرقه: «و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾»، وإسناده بهذه الزيادة جيّدٌ أيضًا.

شَيْءٍ قَدِيرٌ، عَشْرَ مَرَّاتٍ، كُتِبَ لَهُ عَشْرُ حَسَنَاتٍ، وَمُحِيَ عَنْهُ عَشْرُ سَيِّئَاتٍ، وَرُفِعَ لَهُ عَشْرُ دَرَجَاتٍ، وَكَانَ يَوْمَهُ ذَلِكَ كُلَّهُ فِي حِرْزٍ مِنْ كُلِّ مَكْرُوهٍ، وَحُرِسَ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَلَمْ يَنْبَغِ لِذَنْبٍ أَنْ يُدْرِكَهُ فِي ذَلِكَ اليَوْمِ إِلَّا الشِّرْكَ بِاللهِ»[1] يبدأ بها قبل التسبيح والتحميد والتكبير.

و**«إِذَا صَلَّيْتَ الصُّبْحَ فَقُلْ قَبْلَ أَنْ تُكَلِّمَ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ: اللَّهُمَّ أَجِرْنِي مِنَ النَّارِ، سَبْعَ مَرَّاتٍ، فَإِنَّكَ إِنْ مِتَّ مِنْ يَوْمِكَ ذَلِكَ كَتَبَ اللهُ لَكَ جِوَارًا مِنَ النَّارِ، وَإِذَا صَلَّيْتَ الْمَغْرِبَ فَقُلْ قَبْلَ أَنْ تُكَلِّمَ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ: اللَّهُمَّ أَجِرْنِي مِنَ النَّارِ، سَبْعَ مَرَّاتٍ، فَإِنَّكَ إِنْ مِتَّ مِنْ لَيْلَتِكَ تِلْكَ كَتَبَ اللهُ لَكَ جِوَارًا مِنَ النَّارِ»**[2].

و**«مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ أَوْ يُمْسِي: اللَّهُمَّ إِنِّي أَصْبَحْتُ أُشْهِدُكَ، وَأُشْهِدُ حَمَلَةَ عَرْشِكَ وَمَلَائِكَتَكَ، وَجَمِيعَ خَلْقِكَ، أَنَّكَ أَنْتَ اللهُ لا إِلهَ إِلَّا أنتَ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ، أَعْتَقَ اللهُ رُبُعَهُ مِنَ النَّارَ، فَمَنْ قَالَهَا مَرَّتَيْنِ أَعْتَقَ اللهُ نِصْفَهُ، وَمَنْ قَالَهَا ثَلَاثًا أَعْتَقَ اللهُ ثَلَاثَةَ أَرْبَاعِهِ، فَإِنْ قَالَهَا أَرْبَعًا أَعْتَقَهُ اللهُ**

---

(١) رواه الترمذي (٣٤٧٤) وقال: حسن صحيح غريب، والنسائي في «الكبرى» (٩٨٧٨).

(٢) رواه أحمد في مسنده (١٨٠٥٤)، وأبو داود (٥٠٧٩)، والنسائي في «الكبرى» (٩٨٥٩)، وابن حبان في «صحيحه» بترتيب ابن بلبان (٢٠٢٢).

مِنَ النَّارِ»[1].

و**«مَنْ قَالَ فِي كُلِّ يَوْمٍ حِينَ يُصْبِحُ وَحِينَ يُمْسِي: حَسْبِيَ اللَّهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، سَبْعَ مَرَّاتٍ، كَفَاهُ اللَّهُ تَعَالَى مَا أَهَمَّهُ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ»**[2].

و**«مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الوُضُوءَ ثُمَّ قالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ التَّوَّابِينَ وَاجْعَلْنِي مِنَ الْمُتَطَهِّرِينَ؛ فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الجَنَّةِ الثَّمَانِيَةُ يَدْخُلُ مِن أيِّها شَاءَ»**[3].

ومن: يسبح للّٰه مئة تسبيحة يكتب له ألف حسنة، أو يُحَطّ عنه ألف خطيئةٍ[4].

و**«مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يَقُولُ حِينَ يُصْبِحُ وَحِينَ يُمْسِي ثَلَاثَ مَرَّاتٍ: رَضِيتُ**

---

(١) رواه أبو داود (٥٠٦٩)، والترمذي (٣٥٠١)، والبخاري في «الأدب المفرد» (١٢٠١).

(٢) رواه أبو داود (٥٠٨١)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٧١).

(٣) رواه مسلم (١٧/٢٣٤)، والترمذي (٥٥)، واللفظ له.

(٤) رواه مسلم (٣٧/٢٦٩٨)، ولفظه: وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكْسِبَ كُلَّ يَوْمٍ أَلْفَ حَسَنَةٍ؟»**، فسأَلَهُ سائلٌ من جُلَسائِهِ: كيفَ يكسِبُ أحدُنا ألفَ حسنةٍ؟ قَالَ: **«يُسَبِّحُ مِئَةَ تَسْبِيحَةٍ، فَيُكْتَبُ لَهُ أَلْفُ حَسَنَةٍ، أَوْ يُحَطُّ عَنْهُ أَلْفُ خَطِيئَةٍ»**.

باللهِ ربًّا، وبالإسلامِ دِينًا، وبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا، إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ أَنْ يُرْضِيَهُ يومَ القِيَامَةِ»[(١)].

وقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«مَنْ صَلَّى عَلَيَّ حينَ يُصْبِحُ عَشْرًا وَحِينَ يُمْسِي عَشْرًا أَدْرَكَتْهُ شَفَاعَتِي يومَ القِيَامَةِ»**[(٢)].

و: من قال حين يسمع النداء: **«اللَّهُمَّ رَبَّ هَذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ، وَالصَّلاةِ الْقَائِمَةِ، آتِ مُحَمَّدًا الْوَسِيلَةَ وَالْفَضِيلَةَ، وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الذي وَعَدْتَهُ»** حلَّتْ له شفاعة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يوم القيامةِ[(٣)].

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«مَنْ قَرَأَ حَرْفًا من كِتَابِ اللهِ فله بِهِ حَسَنَةٌ، والحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لا أَقُولُ: ﴿الٓمٓ﴾ حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ، وَلَامٌ حرفٌ، وَمِيمٌ حَرْفٌ»**[(٤)].

و**«مَنْ قَرَأَ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ حَتَّى يَخْتِمَهَا عَشْرَ مَرَّاتٍ بَنَى اللهُ لَهُ قَصْرًا**

---

(١) رواه أحمد في «المسند» (١٨٩٦٧)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٢٧٠٧٢)، والحاكم في «مستدركه» (١/٥١٨)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٢) قال الحافظ المنذري في «الترغيب والترهيب» (٩٨٧): رواه الطبراني بإسنادين أحدهما جيد. وكذا قال أيضًا الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٧٠٢٢): رواه الطبراني بإسنادين، وإسناد أحدهما جيد، ورجاله وُثّقوا.

(٣) رواه البخاري (٦١٤).

(٤) رواه الترمذي (٢٩١٠) والحاكم في «مستدركه» (١/٥٥٥).

فِي الجَنَّةِ»[1].

و«**مَنْ صَلَّى اثْنَتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً فِي يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ بُنِيَ لَهُ بِهِنَّ بَيْتٌ فِي الْجَنَّةِ**»[2]. يعني السنن الرواتب.

و«**مَنْ حافَظَ على أَرْبَعِ رَكَعَاتٍ قبلَ الظُّهْرِ وَأَرْبَعٍ بَعْدَهَا؛ حرَّمَه اللّٰهُ عَلَى النَّارِ**»[3].

و«**مَنْ صَلَّى الْغَدَاةَ فِي جَمَاعَةٍ، ثُمَّ قَعَدَ يَذْكُرُ اللّٰهَ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ، ثُمَّ صَلَّى ركعتينِ كانتْ لَهُ كَأَجْرِ حَجَّةٍ وَعُمْرَةٍ**»، قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**تَامَّةٍ تَامَّةٍ تامَّةٍ**»[4].

و«**مَنْ غَسَّلَ يَوْمَ الجُمُعَةِ وَاغْتَسَلَ ثُمَّ بَكَّرَ وابتَكَرَ، وَمَشَى وَلَمْ يَرْكَبْ وَدَنَا مِنَ الإِمَامِ فَاسْتَمَعَ وَلَمْ يَلْغُ، كانَ لَهُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ عَمَلُ سَنَةٍ أَجْرِ صِيَامِهَا وَقِيَامِهَا**»[5].

و«**مَنْ شَهِدَ الْجَنَازَةَ حَتَّى يُصَلَّى عَلَيْهَا فَلَهُ قِيرَاطٌ، وَمَنْ شَهِدَهَا حَتَّى تُدْفَنَ**

---

(١) رواه أحمد في «مسنده» (١٥٦١٠)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٦٩٣).

(٢) رواه مسلم (١٠١/٧٢٨).

(٣) رواه الترمذي (٤٢٨)، وأبو داود (١٢٦٩)، والنسائي (١٨١٢).

(٤) رواه الترمذي وقال: حديث حسن غريب.

(٥) رواه أحمد في «المسند» (١٦١٦١)، وأبو داود في «سننه» (٣٤٥)، والترمذي (٤٩٦)، والنسائي (١٣٨١)، وابن ماجه (١٠٨٧)، وابن خزيمة في «صحيحه» (١٧٥٨، ١٧٦٧)، وابن حبان في «صحيحه» بترتيب ابن بلبان (٢٧٨١).

فَلَهُ قِيرَاطَانِ»، قِيلَ: وَمَا الْقِيرَاطَانِ؟ قَالَ: **«مِثْلُ الْجَبَلَيْنِ الْعَظِيمَيْنِ»**[(١)].

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«مَن صلَّى الصُّبْحَ فهو في ذِمَّةِ اللّٰهِ، فلا يَطْلُبَنَّكُمُ اللّٰهُ مِن ذِمَّتِهِ بِشيءٍ فيُدْرِكَهُ فَيَكُبَّهُ في نارِ جَهَنَّمَ»**[(٢)].

و**«مَن صَلَّى العِشَاءَ فِي جَمَاعةٍ فَكَأَنَّمَا قام نصفَ اللَّيلِ، ومَن صلَّى الصُّبْحَ في جَمَاعةٍ فكأَنَّمَا صلَّى اللَّيْلَ كُلَّهُ»**[(٣)].

و**«مَنْ توضَّأ فَأَحْسَنَ الوضوءَ خَرَجَتْ خَطَايَاهُ مِنْ جَسَدِهِ حَتَّى تَخْرُجَ مِنْ تَحْتِ أَظْفَارِهِ»**[(٤)].

و**«مَن صامَ يومًا فِي سبيلِ اللّٰهِ، باعَدَ اللّٰهُ عنه جَهَنَّمَ مَسِيرَةَ سَبْعِينَ عامًا»**[(٥)]، وفي رواية: **«مِئة عامٍ»**[(٦)].

---

(١) متفق عليه؛ البخاري (٤٧)، ومسلم (٥٢/٩٤٥)، واللفظ له.

(٢) متفق عليه؛ البخاري (٧١٥٢)، ومسلم (٢٦١/٦٥٧)، واللفظ له.

(٣) رواه مسلم (٢٦٠/٦٥٦).

(٤) متفق عليه؛ البخاري (١٥٩)، ومسلم (٣٣/٢٤٥)، واللفظ له.

(٥) متفق عليه؛ البخاري (٢٨٤٠)، ومسلم (١٦٧/١١٥٣، ١٦٨)، من حديث أبي سعيد الخدري.

(٦) النسائي في «الكبرى» (٢٥٧٤)، وأبو يعلى الموصلي في «مسنده» (١٧٦٧)، والطبراني في «مسند الشاميين» (٨٩٦، ٣٤٩٣) من حديث عقبة بن عامر.

و«**مَن صَامَ رَمَضَانَ ثُمَّ أَتْبَعَهُ سِتًّا من شَوَّالٍ كان كصِيام الدَّهْرِ**»[١].

و«**مَن فَطَّرَ صَائمًا كان له مِثْلُ أَجْرِهِ غَيْرَ أَنَّهُ لا يَنْقُصُ مِن أَجْرِ الصَّائِمِ شَيْئًا**»[٢].

وقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**صِيَامُ يَوْمِ عَرَفَةَ أَحْتَسِبُ على اللهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ وَالسَّنَةَ الَّتِي بَعْدَهُ**»[٣].

وعندما سئل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عن صيام يوم عاشوراء قال: «**يُكَفِّرُ السَّنَةَ الماضِيَةَ**»[٤].

و«**مَنْ صامَ مِن كُلِّ شَهْرٍ ثلاثةَ أيامٍ فذلكَ صِيَامُ الدَّهْرِ**»[٥].

وقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ الْمُسْلِمَ إذا أَنْفَقَ عَلَى أَهْلِهِ نَفَقَةً وهو يَحْتَسِبُها كَانَتْ لَهُ صَدَقَةً**»[٦].

وقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**السَّاعِي عَلَى الأَرْمَلَةِ وَالْمِسْكِينِ**

---

(١) رواه مسلم (٢٠٤/١١٦٤).

(٢) رواه الترمذي (٨٠٧) وقال: حديث حسن صحيح، وابن ماجه (١٧٤٦).

(٣) رواه مسلم (١٩٦/١١٦٢).

(٤) رواه مسلم (١٩٧/١١٦٢).

(٥) رواه أحمد (٢١٣٠١)، والترمذي (٧٦٢)، والنسائي (٢٤٠٩)، وابن ماجه (١٧٠٨).

(٦) متفق عليه؛ البخاري (٥٥)، ومسلم (٤٨/١٠٠٢)، واللفظ له.

كَالمُجاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» قال الراوي: وأحسبه قال: **«كالقائِمِ لا يَفْتُرُ، وَكَالصَّائِمِ لا يُفْطِر»**[٧].

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«عُمْرَةٌ فِي رَمَضَان تَقْضِي حَجَّةً أَوْ حَجَّةً مَعِي»**[٨].

و**«مَن اسْتَغْفَرَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِكُلِّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ حَسَنَةً»**[٩].

و**«مَن عاد مَرِيضًا بَكَرًا شَيَّعَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، كُلُّهُمْ يَسْتَغْفِرُ له حتَّى يُمْسِيَ، وكان له خَرِيف فِي الجَنَّةِ، وإِنْ عَادَهُ مَسَاءً شَيَّعَهُ سَبعونَ أَلْفَ مَلَكٍ كُلُّهم يَسْتَغْفِرُ له حتى يُصْبِحَ، وكان له خَرِيفٌ فِي الجنَّةِ»**[١٠].

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في الحديث القدسي: **«إِنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا ابْنَ آدَمَ، مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي. قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَعُودُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فُلَانًا مَرِضَ فَلَمْ تَعُدْهُ؟ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ؟ يَا ابْنَ آدَمَ، اسْتَطْعَمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي. قَالَ:**

---

(٧) متفق عليه؛ البخاري (٦٠٠٧)، ومسلم (٤١/٢٩٨٢).

(٨) متفق عليه؛ البخاري (١٨٦٣)، ومسلم (٢٢١/١٢٥٦، ٢٢٢).

(٩) رواه الطبراني في «مسند الشاميين» (٢١٥٥).

(١٠) رواه أحمد في «مسنده» (٦١٢، ٧٠٢، ٧٥٤، ٩٥٥، ٩٧٥، ٩٧٦، ١١٦٦)، وأبو داود في «سننه» (٣٠٩٨)، والترمذي (٩٦٩)، واللفظ المذكور لأحمد (٩٧٥).
وبكرًا يعني غدوة، والخريف البستان، أو الثمر المجتنى من الجنة.

يَا رَبِّ وَكَيْفَ أُطْعِمُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ اسْتَطْعَمَكَ عَبْدِي فُلَانٌ فَلَمْ تُطْعِمْهُ؟ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ أَطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي، يَا ابْنَ آدَمَ، اسْتَسْقَيْتُكَ فَلَمْ تَسْقِنِي. قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَسْقِيكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ قَالَ: اسْتَسْقَاكَ عَبْدِي فُلَانٌ فَلَمْ تَسْقِهِ، أَمَا إِنَّكَ لَوْ سَقَيْتَهُ وَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي»[1].

المرحلة الثالثة: مرحلة الأحرار

كل هذه العطايا الإلهية ستقود الإنسان إلى نوع أرقى من العبادة والسلوك، إلى أن يصل إلى مرحلة الأحرار، والأحرار بمعنى أن يعبد الله بحرية، فقد شعر بطعم التقرب إلى الله في مرحلة التجارة مع الله، وبعظمة الخالق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وبحب الله لعبيده، فيبادل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ حبًّا بحب، ويتحرر من الخوف أو الرجاء في العطاء، ويسلك إلى الله طريق المحبة الخالصة التي هو أهل لها سبحانه، ويمتلأ قلبه حبًّا في الله، وتسارع جوارحه في طاعته، ويفنى عن نفسه، حتى لا يرى سوى الله ولا يصيخ سمعه إلَّا إليه، ولا يعرف فضلًا إلَّا ما جاءه منه، وكأنه خلع الدنيا كلها عنه، وأصبح لا يأنس إلَّا بخلوة يناجي فيها ربه وينشرح لها صدره، فما أوقاته إلا لمن خلقه.

وهنا يكون العبد حرًّا من كل ما يجذبه للإخلاد إلى الأرض،

(١) رواه مسلم (٢٥٦٩/٤٣).

لا يخاف في الدنيا شيئًا ما دام ربه قد رضي عنه، فحريته كاملة لا سلطان لأحد عليه سوى لربه الذي أحبه وصرف وقته كله له.

وأن كل ما في الوجود الفعال فيه هو الله، وكل شيء موجود بأمره سبحانه، متحقق منه تعالى، وهو الموجود المطلق سبحانه العظيم القادر القويّ الحيّ القيوم الرحمن الرحيم سبحانه.

أدوات السالكين
(الخضوع والانكسار والعمل الدؤوب)

التدرج في هذه المراحل التي أشرنا إليها (الفُرَّار، التُّجَّار، الأَحرَار) لا يعني أنها رحلة لها بداية ونهاية، إنما هو عمل مستمر دؤوب، فالشيطان ـ لعنة الله عليه ـ توعد عباد الله بالغواية، واستمهل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ حتى يجتهد في غوايتهم، فأنت لا تزال في الحياة الدنيا تكافح النفس والشيطان بالطاعة والسلوك على الوجه الذي بيّناه، ولا تأمن الانقلاب وسوء العاقبة حتى يأخذ الله أمانته.

وقد ورد عن سيدنا أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ وهو مَن هو عند الله ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، ثاني اثنين إذ هما في الغار، وحبيب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، وأقرب أصحابه إليه ـ أنه قال: «لا آمنُ مكرَ اللهِ ولو كانت إحدى قَدَمَيَّ فِي الجنة»، ومنه ألا يركن الإنسان لعمله فعمله قد يورثه كبرًا أو إعجابًا أو تألّيًا على الله بأن الأمر قد حُسِمَ وجاء كما يشتهي قبل أن يحين الأوان، فتسبق شقوة الإنسان عليه وتسوء عاقبته.

الحذر من الكبر

وقد حذرنا سيدنا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ من الكبر كما جاء في الحديث القدسي: «**الكِبرياءُ رِدَائي، فمَنْ نَازَعَنِي رِدَائِي قَصَمْتُهُ**»[1]، فهذا ما يجب أن نخشاه، وأنْ نعلمَ أنّ الخضوع والانكسار والمثابرة هي أدوات السالكين إلى الله، فالشيطان الرجيم جاء في القرآن الكريم ما يؤكد عدم كفره، فقد قال: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص: ٨٢] اعترافًا منه بالله وبعزته وألوهيته، ولكن سبقت عليه شقوته وتملَّكَه الكبرُ فصده عن طاعة أوامر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى جهله وإعجابه بنفسه وعدم إنزال خالقه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في نفسه المنزلة التي يستحقها سبحانه، فكان ما كان من شقائه الأبدي.

فعلينا إذن أن نهذب أنفسنا، ونتخذ المراحل المختلفة للسلوك إلى الله، وتربية النفس، والمجاهدات والرياضات والتنقل في معاني الطاعة وفي محطات السلوك، وهذا لا يعني أن كلًّا منا ليس معرضًا لهفوة هنا وزلة هناك، ولكن المعوَّل هو أن تمتلئ أنفسنا بأن عفو الله ورحمته أعظم من أيّ شيء يمكن أن نقترفه، فنسارع إلى التوبة وإلى الرجوع موقنين بكرم الله سبحانه.

وقد جاء في الحديث أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ**

(١) رواه مسلم (١٣٦/٢٦٢٠)، والحاكم في «مستدركه» (٦١/١)، واللفظ له.

ـأَوْ: وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِـ لَوْ أَخْطَأْتُمْ حَتَّى تَمْلَأَ خَطَايَاكُمْ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، ثُمَّ اسْتَغْفَرْتُمُ اللَّهَ لَغَفَرَ لَكُمْ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ـأَوْ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِـ لَوْ لَمْ تُخْطِئُوا لَجَاءَ اللَّهُ بِقَوْمٍ يُخْطِئُونَ، ثُمَّ يَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ، فَيَغْفِرُ لَهُمْ»[1].

فحال النفس البشرية كالفرس الجامحة التي في داخلها ما يؤهلها لأن تُروَّض وتُستأنس، وإنْ بدت في الوهلة الأولى شاردةً حَرونًا، ولكن سبل ترويضها هو ما جاء آنفًا، وهذا يعني أنك ستصبح ممسِكًا بزمام نفسك مروِّضًا لها، فتأتي طائعة لك وتأخذها في طريق التقرب إلى الله، وفي أي لحظة إذا تراخيت في أسباب الإلجام جمحت ويمكن أن تطرحك من على ظهرها.

خطورة اتباع الشيطان

فيجب أن نكون حذرين ومدركين دائمًا لهذه الحقيقة، ولحقيقة أن الشيطان متربص بالطائعين المقبلين على الله، فهو يرى فيهم عدوه؛ لأنهم مقبلون على ما جحده وكان شقاؤه بسببه، وهذه العداوة حقيقية ثابتة وقديمة، فندرك أنه سيحاول أن ينفذ من مختلف السبل للإنسان، فإذا لم يستطع أن يدعوك إلى المعاصي دعاك إلى المهالك،

(١) رواه أحمد في «مسنده» (١٣٤٩٣)، وأبو يعلى في «مسنده» (٤٢٢٦)، والطبراني في «الدعاء» (١٨٠٥).

فيجعل نفسك تسبح في بحر الثقة والإعجاب بأعمالك وطاعاتك، وأوهمك أنك أفضل من غيرك، بينما المؤمن الحق من يرى كل الخلق أفضل منه.

وهناك بعض الفوائد التي يجب أن تُعرَف ليفرق الإنسان بين وسوسة الشيطان وشهوة النفس، فهي في الظاهر كلها تدعوك إلى الرذيلة أو المعاصي، ولكن الدوافع مختلفة؛ فالنفس الأمارة بالسوء شهوانية، فهي تدعوك إلى المعصية ولكن إلى شيء محدد بذاته تشتهيه وتستميلك نحوه من مأكلٍ أو مشربٍ محرّمٍ وعلاقاتٍ غير شرعيّة وطمعٍ، ولهذا تستطيع أن تعرف إذا كان مُحرّكُك نحو المعصية أو الخطيئة من النفس الأمَّارة بالسوء أم لا.

أما الشيطان فمراده أن يستدرجك نحو الخطيئة والمعصية دون أن يهتم أيَّها تصيب، فهو يريد لك الانزلاق بعيدًا عن طريق الله، والغرق في الإثم والمعصية.

وهذا الإدراك مهمّ حتى نفرِّقَ بين الحالتين، ولكلٍّ علاجه الذي نستطيع أن نكافحه به.

فالنفس كما أوردنا علاجها التذكير والتخويف، وسبيلها الرياضات والمجاهدات حتى تصبح طوعًا لأمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، أما الشيطان فيكون العلاج بما علمنا رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ من الاستعاذة بالله

من الشيطان الرجيم فيصبح ضعيفًا ذليلًا، وأن نسدّ الأبواب فلا ينفذ إليها بالتحصين وبالطهارة والوضوء والاغتسال والأذكار التي تجعل بيننا وبينه سِياجًا من حماية الله وتقواه، فلا يجد سبيلًا إلينا، وإن قصّرنا أو غفلنا وأدركنا منه شيء سارعنا إلى اللجوء إلى الله والاستعاذة والوضوء حتى يصرف الله شرَّهُ عنا: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾ [الحجر: ٤٢].

سنته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مسلك الصحابة والتابعين

وهناك أمرٌ آخر يجب أن نشير إليه؛ وهو أن جميع هذه الطرق والمسالك قد بيَّنَها رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في مُختلف أحوالِهِ وأفعالِهِ وأقوالِهِ وتعاليمِهِ لصحابته الكرام وتفسيرِه القرآنَ الكريمَ لهم، وقام عليها الصحابة من بعده في مناهج مختلفة تستقي من نفس المعين، فمنهم من سلك مسلكًا متقشفًا يميل فيه إلى الانعزال، مثل أبي ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقد كان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من أشدِّ الصحابة زهدًا في الدنيا، وكان آمرًا بالمعروف ناهيًا عن المنكر، لا يخاف في الله لومة لائم، فلما فاض المال وأقبلت الدنيا زهد بها وأعرض عنها، وكان عطاؤه من بيت المال أربعة آلاف، فإذا جاءتْه أمَرَ غلامَهُ أن يشتريَ له ما يكفيه لسنته، ثم يوزع ما زاد على الفقراء، وقد أنكر على الصحابة الذين بنوا البيوت وسكنوا القصور وجمعوا الأموال، وكان يرى تحريم الكَنْزَ ويقول: ليس وعاءُ

ذهبٍ ولا فضةٍ يُوكَأُ عليه إلا وهو يتلظَّى على صاحبه يوم القيامة. فلم يوافقه على ذلك أحد من الصحابة؛ لأن المال إذا زُكِّيَ فليس بكنز، فخرج إلى الرَّبَذَةِ واعتزل فيها.

ومن الصحابة من سلك مسلكًا يعامل فيه الناس ويشيع فيهم الفضائل والعدل، مثل سيدِنا أبي بكر الصديق وسيدنا عمر وسيدنا عليّ رضي الله عنهم جميعًا، ومنهم من اتخذ مسلك التجارة والصناعة بقصد إعمار الأرض وتشغيل الناس، مثل سيدنا عثمان بن عفان وسيدنا عبد الرحمن بن عوف وسيدنا الزبير بن العوام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وكلهم اشتغلوا بالرياضات التعبدية وتهذيب النفس ومراقبة الله في كل السَّكَنَات والحرَكَات.

وجاء مَن بعدهم من التابعين ومن تبعهم ومن الصالحين من ساروا على هذه المناهج النبوية، فسطروا مناهجَ منضبطةً مرجعيّتُها الكتاب والسنة المطهرة، وبينوها لتلاميذهم، وأصبحت طرقًا للسلوك والتقرب إلى الله، وهي سنة حسنة «**مَن سَنَّ فِي الإسلام سُنَّةً حَسَنَةً، فَعُمِلَ بها بعدَهُ، كُتِبَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا، وَلَا يَنْقُصُ مِن أُجُورِهِم شَيْءٌ، ومَن سَنَّ فِي الإسلام سُنَّةَ سَيِّئَةً، فَعُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، كُتِبَ عَلَيْهِ مِثْلُ وِزْرِ مَن عَمِلَ بِهَا، ولَا يَنْقُصُ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ**»[1] مُنتمية للأصلِ دون شائبَةٍ وبالأدلة القاطعة، وهي تسهل الطريق ويكون فيها التواصل والتلقي كابرًا عن كابر،

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» (١٠١٧).

وهذا مبحث يطول فيه الشرح، وهناك الكثير من المراجع والكتب التي توضح وتشرح هذه المناهج ومنطقها الراقي ومشربها الصافي.

التوغل برفق

وأخيرًا أحب أن أؤكد أمرًا مهمًا، وهو أن الدعوة إلى الله وإلى التقرب منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ تكون بالحكمة والموعظة الحسنة، وقد وردت الحكمة أولًا، وأحسب أن معناها هنا أن يُستخدم الشيءُ المناسب في الوقت المناسب وبالقدر المناسب، حتى تكون هناك نتيجةٌ من الدعوة، والحكمة تُجسّد حرصَ الداعية على أن يفوز بهداية مَن يدعو.

وهنا أيضًا المنهج الذي يرتب عملية التحول بالتدريج في الحديث: **«إِنَّ هَذَا الدِّينَ مَتِينٌ، فَأَوْغِلُوا فِيهِ بِرِفْقٍ»**[1].

وقد قال المُناوي في شرحه لهذا الحديث[2]: «**(إن هذا الدين متين)** أي صلب شديد **(فأوغلوا)** أي سيروا **(فيه برفق)** من غير تكلف ولا تحملوا على أنفسكم ما لا تطيقونه فتعجزوا وتتركوا العمل، والإيغال كما في «النهاية»: السير الشديد، والوغول الدخول في الشيء.اهـ. والظاهر

---

(١) رواه أحمد في «مسنده» (١٣٠٥٢)، وفي «صحيح البخاري» (٣٩): **«إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ»**.

(٢) «فيض القدير» (٢/٥٤٤).

أن المراد في الحديث الرفق البعيد عن الشدة، وقال الغزالي: أراد بهذا الحديث أن لا يكلف نفسه في أعماله الدينية ما يخالف العادة بل يكون بتلطف وتدريج فلا ينتقل دَفعةً واحدةً إلى الطرف الأقصى من التبدل، فإنّ الطبع نَفور ولا يمكن نقله عن أخلاقه الرديئة إلا شيئًا فشيئًا حتى تنفصم عنه تلك الصفات المذمومة الراسخة فيه، ومَن لم يراعِ التدريج وتوغل دفعةً واحدةً ترقى إلى حالة تشقُّ عليه، فتنعكس أموره، فيصير ما كان محبوبًا عنده ممقوتًا، وما كان مكروهًا عنده مشربًا هَنيئًا لا ينفر عنه، وهذا لا يُعرف إلا بالتجربة والذوق، وله نظيرٌ في العادات فإنّ الصبي يُحمل على التعليم ابتداء قهرًا فيشقّ عليه الصبر عن اللعب والصبر مع العلم، حتى إذا انفتحت بصيرتُه وأنس بالعلم انقلب الأمرُ، فصار يشقّ عليه الصبر عن العلم».

وقد كان عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يصوم النهار ويقول الليل، فقال له رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: يا عبدَ اللهِ، «**أَلَمْ أُخبَرْ أنكَ تَصومُ النَّهَارَ وَتَقُومُ اللَّيْلَ؟**». قال: فقُلْتُ: بلَى يا رسولَ اللهِ، قال: «**فلا تَفعَلْ، صُمْ وأفطِرْ، وقُمْ وَنَمْ، فإنَّ لِجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِعَيْنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وإنَّ لِزَوجِكَ عَلَيْكَ حقًّا، وَإِنَّ لِزَورِكَ عَلَيْكَ حقًّا، وإنَّ بِحَسْبِكَ أنْ تَصُومَ كُلَّ شَهرٍ ثَلَاثةَ أيَّامٍ، فإنَّ لَكَ بِكُلِّ حَسَنَةٍ عَشْرَ أَمْثَالِها، فإنَّ ذَلِكَ صِيَامُ الدَّهْرِ كُلِّهِ**». قال: فشَدَّدْتُ فشُدِّدَ عليَّ، قُلْتُ: يا رسولَ اللهِ، إني أجِدُ قوةً. قال:

«**فَصُمْ صِيَامَ نَبِيِّ اللهِ دَاوُدَ** عَلَيْهِ السَّلَامُ، **وَلَا تَزِدْ عَلَيْهِ**». قُلْتُ: وما كان صيامُ نبيِّ اللهِ داودَ عَلَيْهِ السَّلَامُ؟ قال: «**نِصفَ الدَّهْرِ**». فكان عبدُ اللهِ يقولُ بعدَما كَبِرَ: يا ليتَني قَبِلْتُ رُخصَةَ النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ[1].

وهكذا مَن تكلف من العبادة ما لا يُطيق ربما يَمَلُّ ويسأم، فينقطع عما كان يعمله. وهنا يتضح لنا أن الإنسان يجب أن يخطو خطواته في كل المراحل خطوة تلوَ الأخرى يتفهمها ويقوم بحقوقها ولا يتعداها لغيرها إلا بعد أن يوفيَها حقَّها.

(١) متفق عليه؛ البخاري (١٩٧٥)، ومسلم (١١٥٩/١٨١-١٩٣).

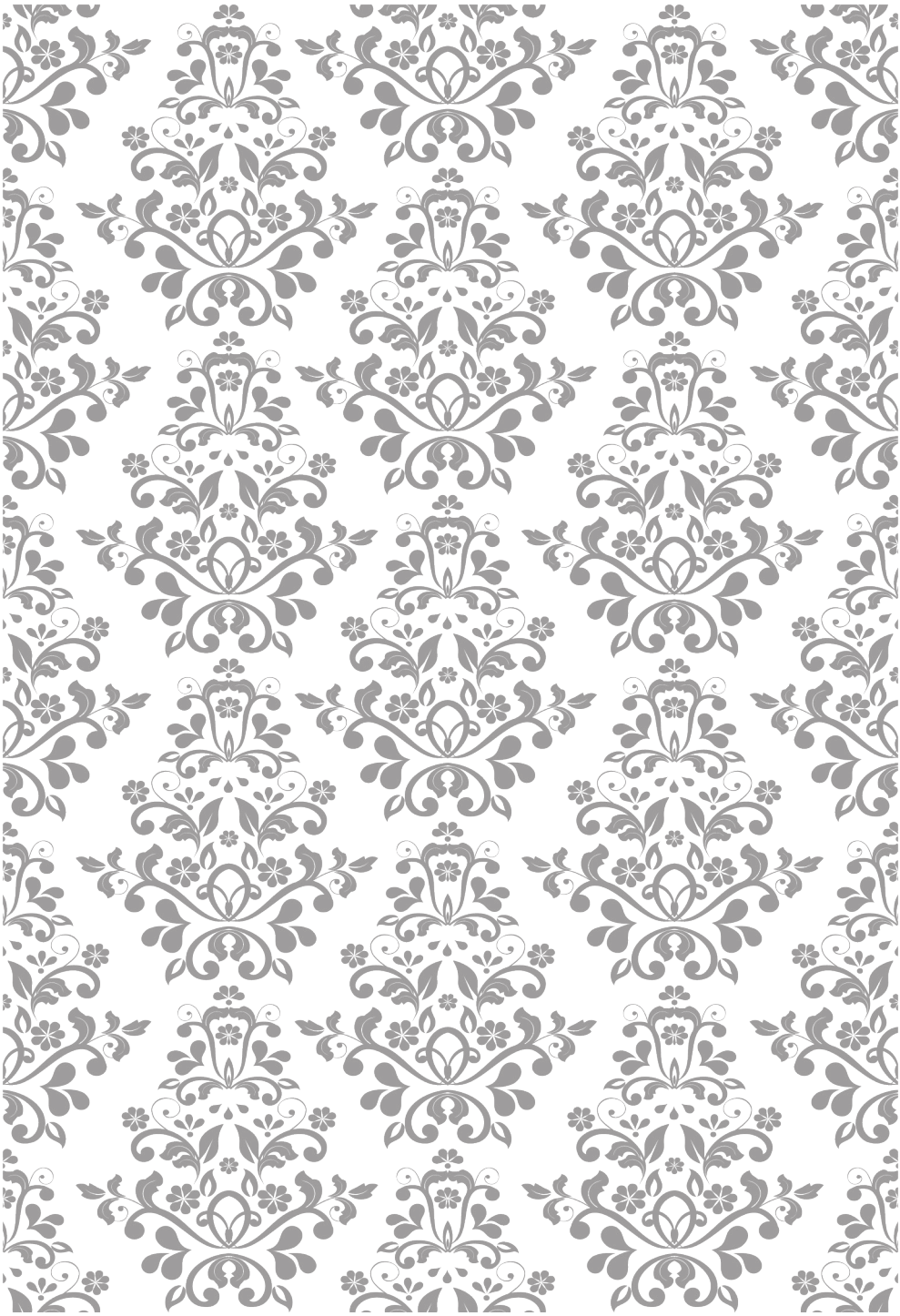

الفصل الثاني
الصوفية والتصوف

* مفهوم التصوف.
* مظاهر التصوف.
* الدعاء والذكر وأسراره.
* بعض المعاني الراقية عند الصوفية.
* الرمزية والأدب.

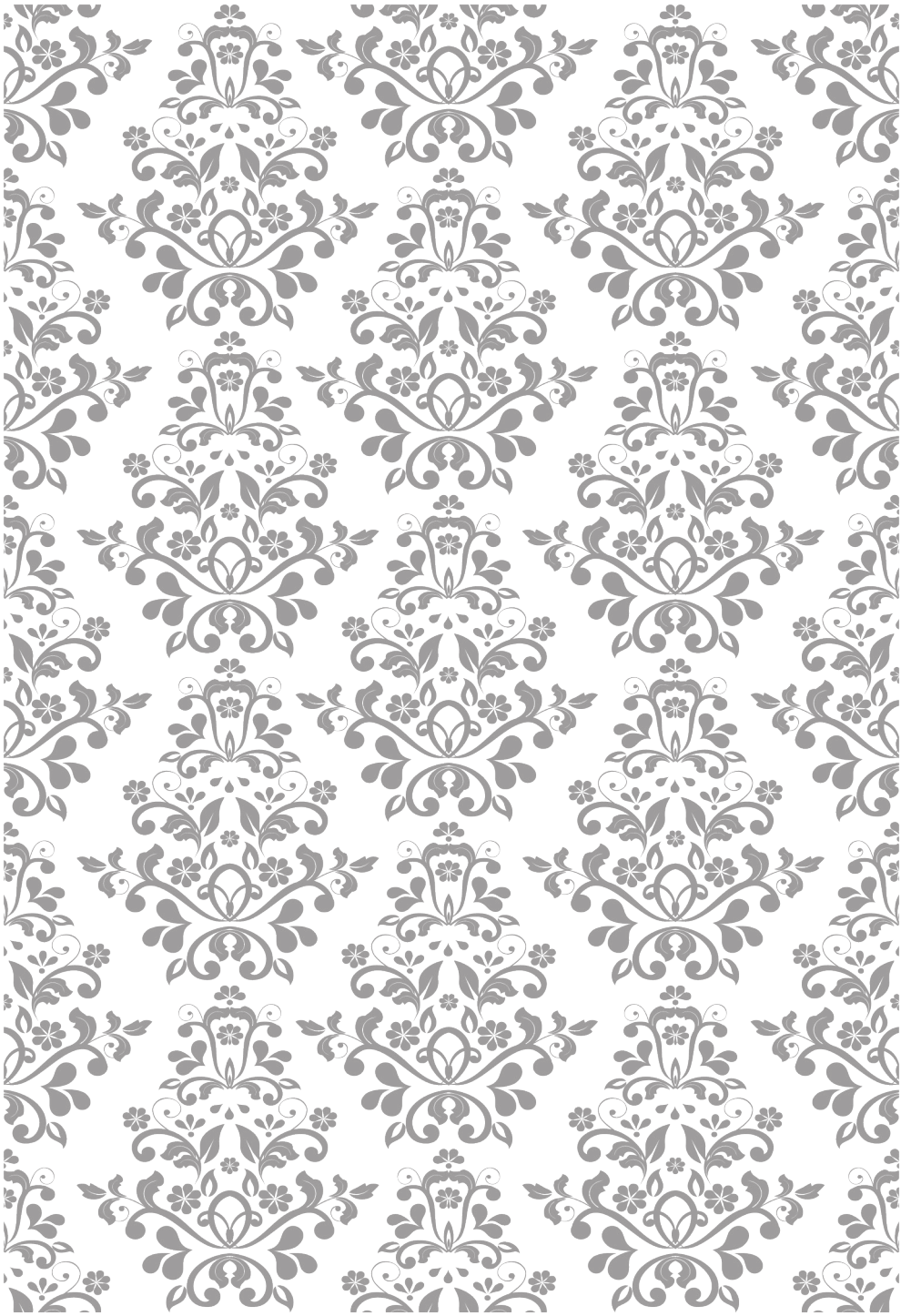

مفهوم التصوف

لعله من الضرورة ونحن نتحدث عن السبل التي يسلكها المؤمن لترويض نفسه وهو في طريقه إلى الله أن نتحدث عن الصوفية والتصوف، فقد اختلط مفهوم التصوف عند بعض المسلمين نتيجة عدم إدراكهم لعلوم وفلسفة ومنهج التصوف، وقد يكون ذلك لأسباب ثقافية وأحيانًا مجتمعية أو حسب تأثيرات البيئة التي يعيش فيها الإنسان.

وسأحاول في هذا الفصل توضيح هذه المفاهيم عسى الله أن يوفق لإجلاء ما التبس حولها ويقربها للعقول والقلوب، وتكون مرشدة لمزيد من البحث والتدقيق بإنصاف، سائلًا الله أن ينور بصائرنا جميعًا وأن يأخذ بأيدينا لما يرضيه سبحانه، فيصلح نياتنا ويتقبل أعمالنا.

معنى كلمة الصوفية

حتى تُفهم الصوفية على حقيقتها، والمراد منها، وهل هي اختراع محدَث أم هي عملية أصيلة في المنهج الديني؟ علينا أن نشرح معناها.

فالصوفية عرّفها الكثيرون، ولكن المعنى الذي يشير لحقيقتها واستحسنتُه كثيرًا هو أنها: مجاهدة النفس لتصفو الروح لخالقها؛ بمعنى

أنها منهج متبع مبني على صحيح الدين من القرآن والسنة والسيرة النبوية، يؤدي إلى صفاء النفس والسريرة، فتحلق الروح بالشوق لخالقها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، بعد أن تتحكم في الشهوات والنزوات فلا تتوجه إلى غير الحلال.

والحقيقة أن التصوف علم سلوك، فهو نوع من العلوم التي لا تؤخذ من الكتب، ولكن بالتربية والممارسة.

نعم هناك على مدى التاريخ من صنفوا وألفوا في علوم الصوفية وفي طبقاتها وأحوالها، ولكن بغرض الإيضاح والرصد حسب مقتضيات العصور المختلفة، وليس بغرض التعاطي معها مباشرة من الكتب.

فلسفة التصوف

ومثل أيّ علم أو منهج فإن التصوف يقوم على فلسفة هي المقصد الذي تدور علومه حولها، فالفلسفةفيالتصوف هي أن اللّٰه هو المقصود وأن رضاه هو المطلوب «إلهي أنت مقصودي، ورضاك مطلوبي» بمعنى التحقق من الآية الكريمة: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، من خلال المعنى الشامل الجامع العميق للعبادة، الذي يغطي كل نواحي الحياة، من خلال فهم مقاصد الشرع الشريف في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، والتعامل مع المقاصد والمآلات، لقطف الثمار من العبادات، حتى تنعكس هذه الفوائد على السالك والمريد، فيحيا

بتوازن وفقَ المنهج الرباني متمثلًا سيدنا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في أقواله وأفعاله وتعاليمه.

وهناك تعبير صوفي شهير يلخص المعنى: «إذا خلصت النيات فكل الأعمال عبادات»، فإذا كانت النية صالحة ومتوجهةً إلى رضا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ فكل عمل تقوم به في مختلف نواحي الحياة، في الأسرة، في المجتمع الصغير، في المجتمع الأكبر، في العمل، حتى في علاقاتك الخاصة جدًّا يكون عبادة، مع الاجتهاد في التحسين والتجويد وفق المنهج النبوي.

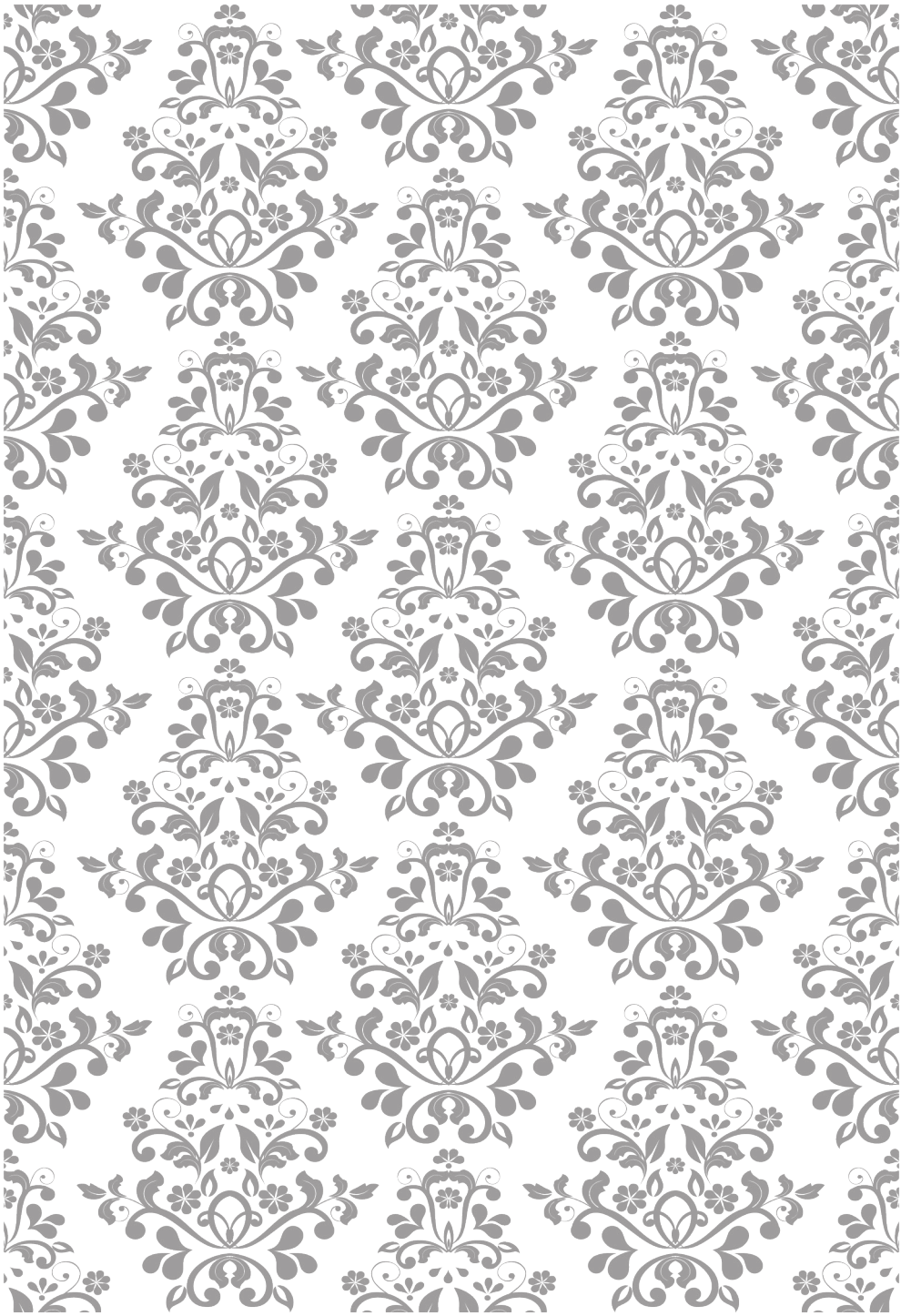

مظاهر التصوف

السند والتلقي

إن صميم السلوك في الطرق الصوفية المختلفة مبني على العلاقة بين الشيخ المربي والمريد (السند المتصل)، والتعليم والتلقين والتربية تكون بينهما مباشرة، وهي على هذا الحال منذ نشأتها في عهد الصحابة رضوان الله عليهم، على اعتبار أنها أحوال ومقامات وما شابه ذلك مستنبطة من الأدلة ومن أفعال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وصحابته رضوان الله عليهم جميعًا، فهي مناهج وأذواق مصدرها كلها سيدنا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، ولكن بمذاقات مختلفة، فيها وحدة المنهج والتشريع، وروعة الاختلاف في المذاق والتعاطي.

فالصحابة رضوان الله عليهم فيهم سيدنا أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بمنهجه الصِّدِّيقي، وفيهم سيدنا علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وكرم الله وجهه بمنهجه في العلم والحكمة، وفيهم سيدنا عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بمنهجه الفاروقيّ المتفرد، وفيهم سيدنا أبو ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بمنهجه الصّلب. وكلهم من رسول الله ملتمسٌ غرفًا من البحر أو رشفًا من الدِّيَم.

الزهد عند المتصوفة

يرتبط الزهد عند المتصوفة بعملية تعاطي الإنسان مع نفسه بأحوالها المختلفة، فهو أداة لتهذيب النفس واقتيادها نحو الطاعة في مراد الله، في ضوء الفهم الحقيقي للحلال والحرام في الدين.

فالمنهج الصوفي لا يخترع مبادئ جديدة في الدين، أو يحرم ما أحل الله من الطيبات، وإنما يهذبها بحيث يأخذ منها ما شاء بالحلال وهو ممسك بقيادها، فيدير دفة الإبحار في أنهار وجداول السلوك طلبًا لرضا الله متجنبًا مخاطر الغواية الشيطانية ومهالك النفس الأمارة بالسوء، فيكون متنبهًا للاستدراج في كلا الطريقين.

وكما شرحنا سابقًا فلكلٍّ أدواته وكيفيته التي يتعرف بها الإنسان على نوع التحدي، فيكافح بما يناسبه من تعاليم الرسول الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

الخلوات عند الصوفية

وهي مرحلة من مراحل التربية في الطريق تحتاجُها النفس في بداية الأمر، ولقد كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يخلو بنفسه الشريفة في غار حراء قبل البعثة، ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١] وهي تشبه كثيرًا تعبد الله بالاعتكاف في المساجد، فالصلاة والعبادة شرعها الله في كل مكان، ولكن علمنا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ

وحثنا على الاعتكاف في المساجد؛ لأنه نوع من التربية ينعكس على الإنسان، يحتاجه في مرحلة من المراحل ليتعرض لخيرية الزمان وخيرية المكان.

ففي الاعتكاف في المسجد فضل، وللاعتكاف في المسجد النبوي فضل أكبر، وفي الحرم المكي فضل كبير، وهي أيضًا تأتي على كيفيات مختلفة حسب مذاق الطريقة المتبعة في السلوك.

فقد تكون الخلوة بروابط ذهنية كما في بعض الطرق، كأن يتخيل السالك الرباط والخلوة في القبر حتى يستشعر لحظات نهاية الحياة الدنيا، فيختزن هذا الشعور ليكون دافعًا إيجابيًّا للجدّ والعمل فيما يرضي الله.

وأحيانًا تكون الخلوات في بعض الطرق بالخلوة الفعلية، سواء في المجلس أو في أي مكان آخر، وفي كلتا الحالتين هي أداة تُوجِد تجربةً ذهنيَّةً في نفس السالك يختزنها حتى تكون حافزًا له، ويكون مآل كل إنسان ماثلًا أمامه، فلا يغترُّ بالحياة الدنيا ومفاتنها، وإنما يتعامل معها كمسلم يحرم حرامها ويحل حلالها ويستمتع به.

ومراقبة الله عند المتصوفة هي أن تستشعر أن الله ينظر إليك وأنه يعلم حرَكَاتك وسَكَناتك، وتأتي المراقبة واستشعارها وأداء حقها عند السادة الصوفية على مراحل، وبتدريب وتهيئة للنفس، ولا تكون بكلمة

فقط، بل لتتحقق من قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»**[1].

(١) جزء من حديث متفق عليه؛ البخاري (٥٠)، ومسلم (٥/٩)، (٧/١٠).

الدعاء والذِّكر عند أهل التصوف

الدعـــاء

وللدعاء أهمية بالغة عند أهل التصوف، فهو عبادة بين العبد وخالقه، وهو في نفس الوقت عبادة سهلة ميسورة يمكن للسالك أداؤها في أي وقت وهو في طريقه إلى الله، وهي لا تتقيد بزمان ولا مكان استجابة لأمره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ﴾ [غافر: ٦٠].

ومن المهم أن يتعرض المسلم لرحمات المولى عَزَّوَجَلَّ، خصوصًا في أوقات قبول الدعاء وأماكن قبول الدعاء، فقد كان صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ يرغِّب الصحابة فيه ويدعوهم إليه، فهو سلاح عظيم بيد المؤمن، إذا أحسن استعماله حقق به ما لا يستطيع تحقيقه بكثرة الجهد والتعب.

الذِّكـــر

والذكر عند أهل التصوف سبيل من سبل السالك لإحياء القلب، والجانب النوراني من اللطائف الباطنة، والتخلص من شوائب الشهوات في القالب الطيني، وكلما زاد الذكر وطُبقت القواعد في المواطن والصيغ والأوقات والأعداد كلما كانت الفائدة أعظم.

وقد حث اللّٰه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ على الذكر في مواطن كثيرة في كتابه العزيز، وبذات المعنى الأشمل الموجود عند أهل التصوف، فقال تعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢]، ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ﴾ [الأنبياء: ٥٠]، ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾ [النساء: ١٠٣]، ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه: ١٢٤].

ولكن يجب أن نؤكد معنى مهمًّا أشرنا إليه سابقًا في قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ هَذَا الدِّينَ مَتِينٌ فَأَوْغِلُوا فِيهِ بِرِفْقٍ**»(١)؛ بمعنى أن السبيل في الطاعة والذكر يكون تدريجيًّا، وعلى يد شيخ، فلا أحد يمنعك من الذكر، ولكن المشايخ يدلونك على سبل الرشاد ومواطن أقدام الرجال مِمّن سبقوك، وساروا على دروب الطاعة وعبَّدوا طرق السلوك.

الاستغفار

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٣]، ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝١١ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا﴾ [نوح: ١٠ : ١٢].

للاستغفار فلسفة عند السالكين في الطرق الصوفية؛ وهي أن يبدأ العمل دائمًا بالاستغفار؛ لأنه يكون بمعنى التجرد من الحول

(١) سبق تخريجه.

والقوة واللجوء إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بإيمان كامل به، فيقدم على العمل بالاستغفار وينهيه بالاستغفار، بنية فيها حمد وشكر لله تعالى، وإقرار بأن عمل الإنسان قاصر مهما بلغ من الجودة.

فتكون البداية بتجرد وإقرار بالفضل، والنهاية بالاعتراف بالتقصير ورجاء القبول، فهذا هو حال السالك؛ يكون ملتجئًا إلى الله في كل أحواله.

أسرار الأعداد والمواطن والأوقات والصيغ

وللأعداد وصيغ الدعاء ومواطنه وأوقاته أهمية وأسرار عند المسلمين، فالرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ ـ وهو الإنسان الكامل الذي غُفِرَ له ما تقدَّمَ من ذنبه وما تأخر ـ قال: «**إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ**»[1] ليرشدنا إلى أن الاستغفار مهمّ وأساسيّ، وأن الأعداد أيضًا لها مدلولات، وهو صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى، فكان من الممكِن أن يقول: مئتي مرة، أو غيرها من المرات، ولكنه يرشدنا إلى أن العدد في الذكر والتعبد فيه سرٌّ أيضًا.

وقد جاء عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ سَبَّحَ اللَّهَ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَحَمِدَ اللَّهَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَكَبَّرَ اللَّهَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، فَتْلِكَ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ، وَقَالَ تَمَامَ الْمِئَةِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ**

(١) رواه مسلم (٢٧٠٢/٤١).

وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، غُفِرَتْ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ»[(١)].

والعجيب هنا أن السيدة فاطمة الزهراء حبيبة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عندما اشتكت له ما تلقى من عمل البيت، وطلبت من يساعدها قال لها: «**أَلَا أُعَلِّمُكُمَا خَيْرًا مِمَّا سَأَلْتُمَانِي: إِذَا أَخَذْتُمَا مَضَاجِعَكُمَا تُكَبِّرَا أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ وَتُسَبِّحَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ وَتَحْمَدَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمَا مِنْ خَادِمٍ**»[(٢)]، فأرشدها لنفس الذكر ولكن بسياق مختلف.

فنخلص إلى أن الأعداد فيها بركةٌ وسرٌّ، وترتيب الذكر وتواليه فيه بركةٌ وسرٌّ، وكذلك الصيغ فيها بركةٌ وسرٌّ، فقد علمنا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ سيد الاستغفار: «**اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي، لا إِلَه إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وأَنَا عَبْدُكَ، وأَنَا على عهْدِكَ ووعْدِكَ ما اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ ما صنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ علَيَّ، وأَبُوءُ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لِي؛ فَإِنَّهُ لا يغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ**»[(٣)]، وهذا يدل على أن الألفاظ فيها بركةٌ وسرٌّ.

وعندما نقول: إن هناك بركةً في صيغة الذكر والدعاء فتلك البركة تحل عندما تشتمل صيغة الدعاء على الصلاة عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ،

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) متفق عليه؛ البخاري (٣٧٠٥)، ومسلم (٨٠/٢٧٢٧).

(٣) رواه البخاري (٦٣٠٦).

وكذلك عندما يُشفع الدعاء بالثناء على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فذلك أدعى لقبول الدعاء وبركته، وكما أن هناك أسرارًا في أعداد التهليل والتكبير هناك أيضًا أسرار في تضمين الدعاء بعدد من المرات من الثناء على الله والصلاة على النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، وهناك أسرار في آيات القرآن الكريم وسوره وأعدادها التي تتضمن دعاء؛ مثل الفاتحة والمعوِّذات وآية الكُرسيّ وغيرها، وهي كثيرة، فقد ورد في الحديث أن عُقبة ابن عامر لقي النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ فقال له: «**يَا عُقْبَةَ بْنَ عَامِرٍ، أَلَا أُعَلِّمُكَ سُوَرًا مَا أُنْزِلَتْ فِي التَّوْرَاةِ وَلَا فِي الزَّبُورِ وَلَا فِي الْإِنْجِيلِ وَلَا فِي الْفُرْقَانِ مِثْلُهُنَّ، لَا يَأْتِيَنَّ عَلَيْكَ لَيْلَةٌ إِلَّا قَرَأْتَهُنَّ فِيهَا:** ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، **وَ** ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾، **وَ** ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾»[1].

والمواطن فيها سرٌّ أيضًا؛ مثل الدعاء عند الكعبة، وعند المشعر الحرام، وعلى الصفا والمروة، وغيرها.

وكذلك الأزمان؛ مثل جوف الليل، وليلة القدر، ودبر الصلوات المكتوبات، وبين الأذان والإقامة، وساعة من يوم الجمعة ـ وهي آخر ساعة بعد العصر ـ وعند النداء للصلوات المكتوبة.

وهناك أيضًا سرٌّ وخصوصية في صيغة الدعاء والذكر؛ فقد علمنا

(١) رواه أحمد في «مسنده» (١٧١٥٢)، ومسلم (٨١٤/٢٦٤، ٢٦٥).

أن أفضل الدعاء ليلة القدر ما ورد عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ حين سألته عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: قلتُ: يا رسولَ الله، أرأيتَ إنْ علمتُ أيُّ ليلةٍ ليلةُ القدْر؛ ما أقول فيها؟ قال: «**قُولِي: اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ الْعَفْوَ، فَاعْفُ عَنِّي**»(١).

فتكون جملة الفهم للتعاليم الصحيحة التي علمنا إياها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ واعتمدها السادة الصوفية في سلوكهم، هي الخصوصية والسرّ في الزمان والمكان والألفاظ والصيغ والأعداد.

كتب الأذكار وانتفاع المسلم بها وحفظه لبعض أورادها

والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قد شرع لأمته أذكارًا كثيرة، فلكل حال صيغة من الذكر يتعبد المسلم بها ربه عَزَّوَجَلَّ؛ فللصباح أذكاره، وللمساء أذكاره، وكذلك الحال عند النوم والاستيقاظ، وعند ركوب الدابَّة أو السفينة، وعند الوضوء والتيمم، وعند دخول الخلاء والخروج منه، وعند سماع الأذان... إلخ، وقد صُنفت في الأذكار المأثورة كتب كثيرة، بعضها مختصَر وبعضها مطوَّل، ولعل من أجمعها وأنفعها كتاب «الأذكار» للإمام النَّوَوِيّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

وفي كتاب «الترغيب والترهيب» للإمام المنذري أحاديث كثيرة في الترغيب في الذكر ومجالسه، وما يقال من الأذكار على اختلاف الأزمنة والأحوال.

(١) رواه الترمذي (٣٥١٣) وقال: حديث حسن صحيح، وابن ماجه (٣٨٥٠).

وفي الكتب الصغيرة المختارة من الأذكار ـ وهي كثيرة جدًّا ـ أذكار وأدعية جديرة بالاهتمام والاطلاع، وما أجمل أن يكون للمسلم منها وِرد في الصباح والمساء ولسائر أحواله.

وفي كتاب «رياض الصالحين» بعض الأبواب في فضل الذكر، وما يقال من الأذكار في الصباح والمساء وعند النوم، ينتفع بها العبد إذا داوم عليها وحفظها ما استطاع إلى ذلك سبيلًا.

الأذكار والأدعية المأثورة عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ

إن خير الأدعية التي يمكن أن يدعو بها المؤمن تلك الأدعية التي دعا بها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وعلمها لصحابته الكرام، وعلمهم معها أدب الدعاء وشروطه، والأماكن الطاهرة التي يتقبل فيها الدعاء وأوقاته.

وعلم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ المسلمَ إذا مرّ بآية رحمة من القرآن الكريم أن يسأل الله نصيبًا منها، وأن يستعيذ بالله إذا مرّ بآية عذاب، وأن يكثر الدعاء أثناء السجود في النوافل، وفي السفر، وألا يدعو وهو غافل، وألا يستبطئ الإجابة، وأن يكون مستيقنًا بالإجابة؛ لأنها دليل الثقة بالله وبكثرة ما عنده وامتلاء خزائنه.

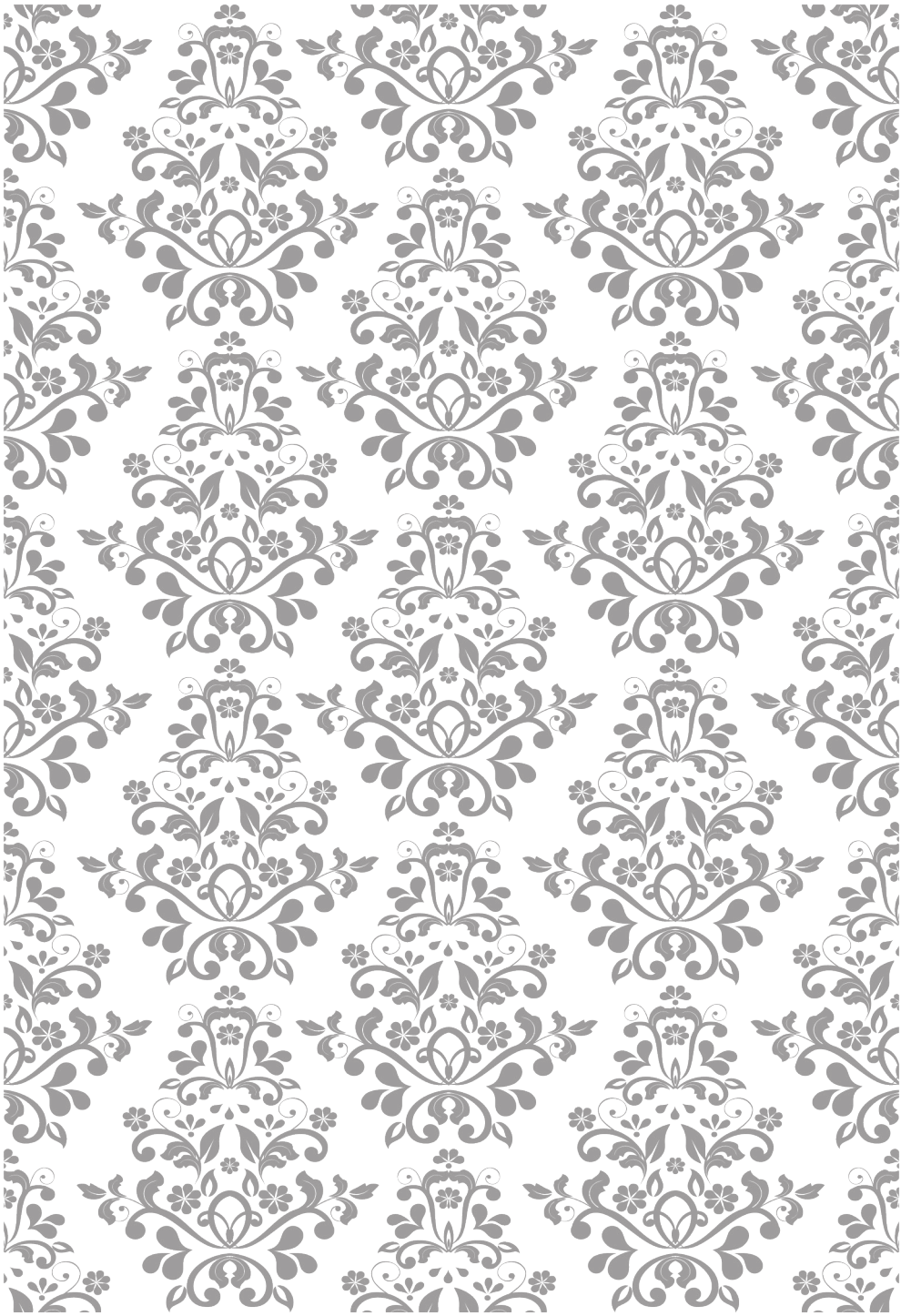

بعض المعاني الراقية في التصوف

هناك بعض المصطلحات يستخدمها أهل التصوف وهي معروفة لديهم ويفهمون معناها، وجميعها مصطلحات لها دلالات ومعاني راقية، مثل قولهم:

(مَن ذاقَ عَرَفَ)

هو تعبير يعني به أهل التصوف أن في رحلة السلوك إلى الله بالمنهج الشرعي يتقلب السالك بين أحوال من فضل الله، ولكل منها مذاق ووقع خاص في نفسه، قد يتفق وقد يختلف مع غيره، ولكنها تجتمع في كونها عطايا وفضلًا من الله يستشعرها السالك ويتذوقها، ولكنها لا توصف، يدركها كل إنسان عندما يعيش التجربة، فعبروا عن هذا بقولهم: من ذاق عرف.

(كَفَى بالخَلْقِ اصطفاءً، وبالعبوديةِ مَقامًا، وبالاستقامةِ كرامةً)

هو وصف لغاية حال السالك، يكون مرشدًا له ينير له الطريق، فيذكر نفسه به كلما دعته مغريات وفتن الطريق لما يورد المهالك.

فالخلق مِنَّة من الله بأن أوجد العبد من العدم بمشيئته وقدرته وفعله وفضله السابق، فهي نعمة يجب أن يذكِّر الإنسان نفسه بها، حتى يكون

فضل الله حاضرًا في نفسه في كل الأوقات.

ويساعده على التحقق بعبوديته، وأن العبودية في معناها المطلق ذلٌّ وانكسار وخضوع، وزمام في يد الخالق، ولكنها عندما تنسب إلى الله، فتكون عبدًا لله، تأخذ بك إلى علياء المعبود، فمن انتسب إلى علاه نال من فضله ومن عطائه، فتكون العبودية مكانة لا تطاولها مكانة أخرى؛ لأنها عبودية لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

والاستقامة هي المعيار الذي يحاسب به العبد نفسه، حيث يمتثل لسنة حبيبه المصطفى صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، فهي أداة مراجعة ومحاسبة وتجويد وتحسين بغية رضا المحبوب سبحانه.

الرمـزية والأدب

فلسفة الرمزية في الثقافة الصوفية منبعها معنى جميل راقٍ، خلافًا لما يعتقده البعض من أنها يقصد بها التشويش أو الإبهام، أو أي شيء محرم، لا سمح الله، بينما المنطلق الحقيقي هو أن السلوك طريق حب ومحبة، وأجمل الحب وأرقاه حتى في القياس على العلاقات البشرية ـ ولله ورسوله المثل الأعلى ـ ما كان تلميحًا وليس تصريحًا.

والسادة الصوفية يتمثلون قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**اسْتَعِينُوا عَلَى قَضَاءِ حَوَائِجِكُمْ بِالْكِتْمَانِ**»[1]، وفي العامية ما يشبه ذلك من التجربة الإنسانية، وهو قولهم: «داري على شمعتك تقيد»، فأنت مثلًا إذا كتبت رسالة حبّ أو عتاب لحبيب أو عزيز تحملها من الرقّ والرمزية ما لا يفهمه إلا من تقصده، فذلك نفس المنطق عند السادة الصوفية في طريقهم في حبّ الله.

---

(١) رواه الروياني في «مسنده» (١٤٤٩)، والخرائطي في «اعتلال القلوب» (٦٨٠)، والطبراني في «الكبير» (١٨٣-٢٠/٩٤)، والأوسط (٢٤٥٥)، والصغير (١١٨٦)، ومسند الشاميين (٤٠٨)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٥/٢١٥)، (٦/٩٦)، والبيهقي في «الشعب» (٦٢٢٨). والحديث صححه الألباني، انظر «صحيح الجامع» (٩٤٣).

وهناك بُعد آخر وهو أن الرمزية والخصوصية في المناجاة تكون للبعد عن الرياء، فتكون منطوية على مشاعر المريد والسالك، ولا يطلع عليها أحد، وإنما يدركها مَن شاركه الحب والوجد والشوق، وهذا يقودنا إلى الشطحات الصوفية.

الشَّطَحَات عند الصوفية

وهي باب من أبواب الرمزية عندهم، ولكنها مرحلة مختلفة يمرّ بها بعض أهل الطريق يكون ظاهرُها ليس فقط غيرَ مفهوم وإنما قد يُفهم بمعانٍ لا يقصدها قائلها، وقد يحملها البعض على أشياء منفّرة أو محرَّمة بظاهر القول، مع أنها في حقيقتها مناجاةٌ مشروعةٌ، ولكن برمزية تحتاج إلى شرح، فهي في غالب الأحيان لأهل الطريق وليست لغيرهم حتى لا تشوش عليه.

وحقيقة «الشطح» والذي هو بين رجال التصوف رمز إلا أن كثيرين منهم رد على من استعمله إذا أدى في الظاهر إلى شرك أو محرم، لذا لم يعترف جمهورهم لمن رمز إلى معنى وحدة الوجود التي يساوي فيها بين الخالق والمخلوق، وهناك من الرمز ما هو أدنى من أن يمثل محرمًا وتحتمله الأفهام، فهم يجتهدون في تفسيره حتى لا يظن السوء بالشيوخ منهم.

وليت من يهاجمونهم أخذوا عنهم ما رأوا فيه خيرًا للعباد، وتركوا

ما لم يفهموه، دون الحمل عليهم والتشكيك في عقائدهم، وإنك لتجد بعض أقوالهم عند كثير من العلماء، حتى من أنكروا عليهم مناهجهم، والكثير من علماء الأمة عبر العصور صوفيون، لا يجد أحد فيما يروى عنهم من الطرائق ما يمكنه أن يذمه.

الأدب

وقد أخرت الحديث عن التأدب مع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ والمشايخ والعلماء الذين عبّدوا الطريق وأناروا الدروب، فهذا أُبَيُّ بنُ كَعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقد كان شديد الأدب مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وكان يصلي عليه كثيرًا، فجاء يومًا إلى النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وقال: يا رسول الله، إني أُكثر الصلاة عليك، فكم أجعلُ لك من صلاتي؟ قال: «**مَا شِئْتَ**». قال: قلت: الرُّبُعَ؟ قال: «**مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ**» قلت: النِّصفَ؟ قال: «**مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ**». قال: قلت: فالثُّلُثَيْنِ؟ قال: «**مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ**». قلت: أجعلُ لك صلاتي كلَّها، قال: «**إِذَنْ تُكْفَى هَمَّكَ، وَيُغْفَرَ لَكَ ذَنْبُكَ**»[1]. ومعنى الصلاة على النبي من الله تعالى: الرحمة، ومن الملائكة: الاستغفار، ومن الآدميين: الدعاء.

(١) رواه أحمد في «مسنده» (٢١٢٤٢)، والترمذي (٢٤٥٧) وقال: هذا حديث حسن، والحاكم في «مستدركه» (٤٢١/٢)، (٥١٣/٢) وصححه.

ويتضح من الحديث الشريف الإرشاد الواضح من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ للصحابي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فيجب أن نفهم معنى كلمة «صلاتي» في نص الحديث، و«صلاتي» هنا شرحها العلماء بفهم راقٍ بأنها جميع الطاعات من صلاة وصوم وذكر وأعمال صالحة غير العبادات المفروضة، فتكون نية المؤمن فيها أن يهب ثواب جميع هذه الأعمال إلى روح رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فيفوز من الله بما أكّدَهُ سيدنا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ من اختفاء الهمّ، ومغفرة الذنوب، وهي حقيقةً تمامُ النعمة؛ لأن من رحمة الله بالعباد أن جعل الحبيب المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ سبيل هذه الرحمة، فعندما نعمل عملًا يُرضي الله بنيّةِ إهداء ثوابه لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لا تكون المكافأة والجزاء إلا من الله، وعطاء الله لا يكون على قدر العمل ولكن على قدر المعطي سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وإهداء من ليس معنا في الحياة الدنيا، وهو الآن في البرزخ من موتى المسلمين أو الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، يصح عند جمهور العلماء ويصل ثوابه إلى الميت، واختلفوا فيما يصل ثوابه إلى الميت من العبادات فرأى البعض أنها كلها يصل ثوابها إليه، وبعضهم رأى أنه يصله ما عدا الصلاة، وحينما أقول: أهب فضل هذه التلاوة لأبي ولأموات المسلمين مثلًا فأنا أشركهم جميعًا معي في ثواب ما تلوت، وهكذا في

سائر العبادات عند من يرى أن ثوابها يصل إلى الأموات، ولا بد أن نقول هنا أن الأنبياء أحياء غير أموات في حياتهم البرزخية فضلًا من ربهم ورضوانًا.

فيجب أن يكون السالك على أدب جمٍّ، وأن يُنزل كلًّا قدره، فلا يبدأ ذكره إلا بعد أن يرد الفضل لأصله، بالدعاء وإهداء القرآن والذكر، كما يفعل الإنسان عندما يذكر والديه، فيهدي لهم من الطاعات ما يتيسر عرفانًا بدورهم، فذلك نفس الميزان في القياس في السلوك مع مَن لهم فضل عليك.

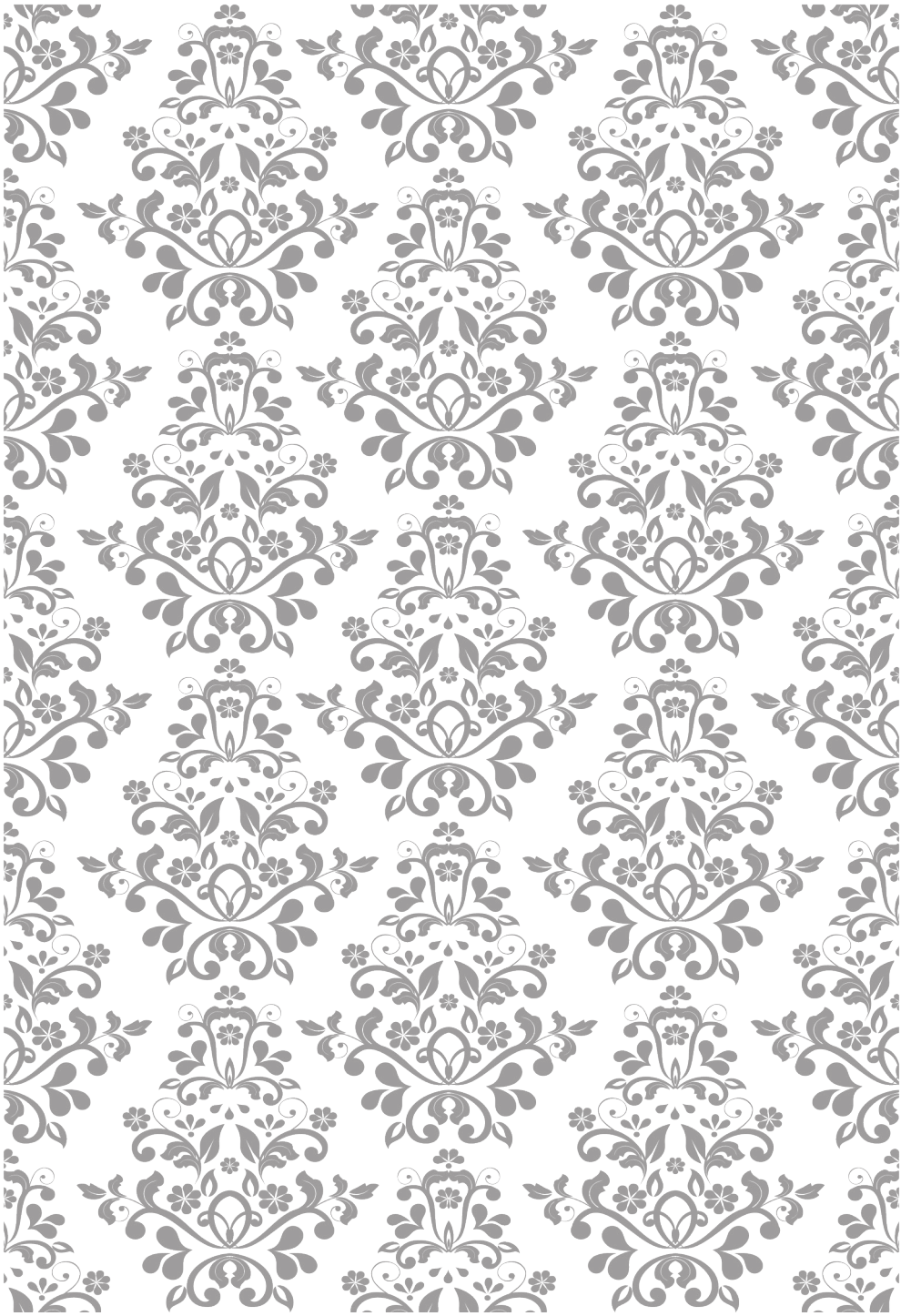

الفصل الثالث
ميزان السلوك في الطريق إلى الله

* تدبر القرآن والسُّنَّة والتفقه في الدين.
* التأدب مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وتعظيمه ومحبته.
* أخلاقه العظيمة وخصاله الحميدة.
* مديحه وتغني الشعراء بوصفه.

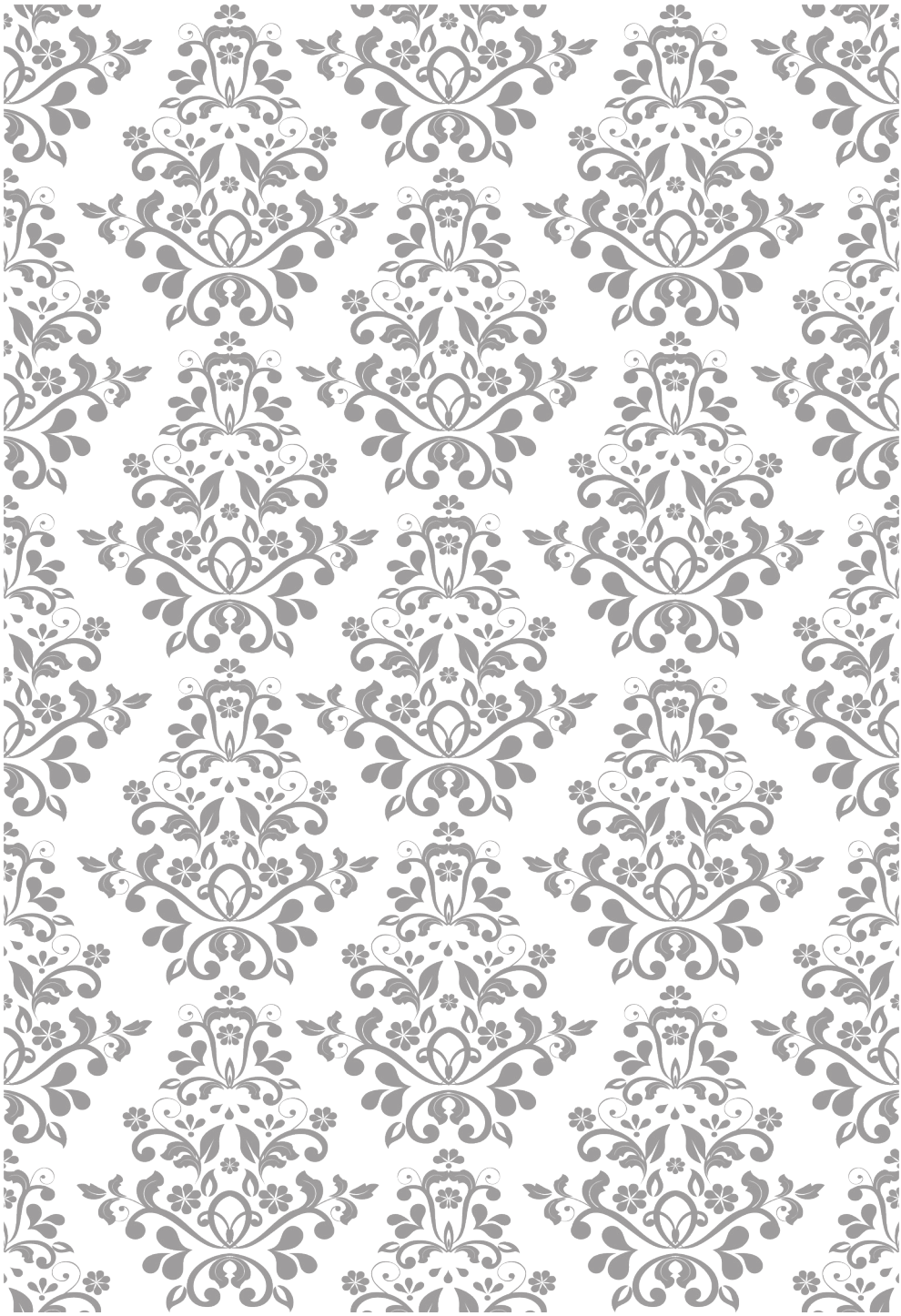

تدبر القرآن والسُّنَّة والتفقه في الدين

إن الميزان الحقيقي في سلوك الطريق إلى الله هو كتاب الله وسنة نبينا وحبيبنا سيدنا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وسنته هي ما جاء به من قول أو فعل أو إقرار في حياته، وهي منهاج كامل في كل جوانب الحياة، فقد بيّن بها عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ المنهج الذي جاء في القرآن الكريم، وأوضح لنا بها مختلف جوانب الحياة، فلا تجد شيئًا يسأل الناس عنه في أمور دينهم ودنياهم إلا وقد تطرقت إليه السنة النبوية الشريفة إذا درسناها بتمعن وفَهِمْنا التعاليم التي جاءت فيها الفهم الصحيح المستنير الذي يتفق مع روح الدين ومقاصد الشريعة، وعلل النصوص.

فالرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ الإنسان الكامل خير خلق الله قد جاء رحمة لنا بمعانٍ كثيرة: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، ومن معاني الرحمة تلك أن جعل سيرته وسنته واضحة بيِّنة لنا لنتشربها ونعيش معها؛ حتى نتمكن من الاقتداء به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وهذا يقودنا إلى سؤال مهم؛ وهو كيف نفهم السنة الشريفة؟

كيف نفهم السنة الشريفة؟

لكي نفهم السنة الشريفة يجب أن نعلم أنها المصدر الثاني للتشريع بعد القرآن الكريم؛ لقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْقُرْآنَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ**»(١)، وهي جزء لا يتجزأ من الوحي؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣، ٤].

ومنزلتها تأتي بعد القرآن الكريم؛ لأنها مبيِّنة ومفصِّلة لما أجمله، وقد بيَّن القرآن الكريم حق النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في التحليل والتحريم: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ۚ﴾ [الحشر: ٧]، وحقَّهُ في الطاعة والاتباع في آيات كثيرة؛ من أدلها على ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤]، وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

والإيمان بالحديث النبوي الشريف والسنة المطهرة جزءٌ أساسي في حياة المسلم، ومن أسس العقيدة، ومن ناحية أخرى فإن رفض السنة

---

(١) رواه أحمد في «مسنده» (١٧١٧٤)، وأبو داود (٤٦٠٤)، وابن حبان في «صحيحه» بترتيب ابن بلبان (١٢).

المباركة رفض للقرآن الكريم، وعدم اتباعها عصيان للّه الذي أرسل صاحبها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بدين الحق ليظهره على الدين كله، كما دلت على ذلك الآيات الكثيرة، والأحاديث الشريفة.

ولأهمية السنة النبوية الشريفة فإنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قد هيَّأَ لها أسباب الحفظ والصيانة، وأحاطها بعنايته حتى وصلتنا بيضاءَ نقيَّةً ليلها كنهارها، لا يضل عنها إلا هالك[1] ولا يُفضِي سلوك طريقها إلا إلى الفوز والنجاة.

أهمية التفقه في الدين

وقد بيَّنَ رسولُ اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فضيلة التفقه في كتاب اللّه وسنة نبيه فقال: «**مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ**»[2]. ودعا الصحابة الكرام إلى حفظ سنته وفهمها وتبليغها فقال: «**نَضَّرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاهَا، ثُمَّ أَدَّاهَا إِلَى مَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ لَا فِقْهَ لَهُ، وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ**»[3].

ولذلك بذل الصحابة الكرام والتابعون قصارى جهدهم، وكل ما في استطاعتهم؛ لحفظ هذه السنة الشريفة وفقهها ونشرها وتعليمها،

(١) قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ**» رواه أحمد في «مسنده» (١٧١٤٢).

(٢) متفق عليه؛ البخاري (٧١)، ومسلم (١٠٠/١٠٣٧).

(٣) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (١٦٧٣٨)، والحاكم في «مستدركه» (١، ٨٦، ٨٧، ٨٨).

فلم يتركوا صغيرة ولا كبيرة منها إلا أحصوها ورصدوها، فروَوْا أقواله وأفعاله، ودونوا كل ما يختص بأحواله وسيرته في حربه وسلمه وسائر أحواله.

ثم جاء علماء السلف من السابقين ومن بعدهم علماء التابعين وتابعي التابعين فاجتهدوا في علومها، ودققوا في نصوصها ووقائعها، فأخلصوا في عملهم ابتغاء مرضاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، قاصدين وجهه ومستعينين به، فوفقهم في عملهم، فخدموا الحديث النبوي الشريف خدمة عظيمة بينت لنا طرق كتابة الحديث وكُتّاب الحديث، وعلم الحديث، ومصطلح الحديث، وعلم الرواة والجرح والتعديل، وعرفنا منهم تدوين السنة النبوية، وفهمنا أقسام الحديث من صحيح وحسن وضعيف وموضوع، وتعلمنا طرق العلماء في تمييز هذه الأقسام ومعرفتها، حتى وصل الحديث النبوي إلينا فالرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ بهديه وسنته حي يعيش معنا، ويهدينا سبلنا، ويبين لنا طريق نجاتنا وسلامتنا: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ﴾ [الحجرات: ٧].

لذلك كان ميزان السلوك في الطريق إلى الله ما جاء في القرآن الكريم وهذه التعاليم النبوية التى هي عماد الدين، أما الدور المنوط بالعلماء في

كل عصر فهو بيان هذه التعاليم وشرحها الشرح الذي يؤدي إلى إفهامها للناس عامة من حيث عِلَلُها التى تدور معها نفيًا ووجوبًا، ومقاصدُها ومآلاتُها، حتى يكون الفهم والتطبيق صحيحَيْن، والقياس والاجتهاد أيضًا صحيحيْن.

ومن هنا يأتي الفهم بمقتضيات وأحوال العصور المختلفة، والظروف المختلفة: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣].

وبعد أن تتضح الصورة للإنسان يصبح له حرية الخيار، وهنا نفهم النص: «**اسْتفْتِ قَلْبَكَ، وَاسْتَفْتِ نَفْسَكَ، الْبِرُّ مَا اطْمَأَنَّتْ إِلَيْهِ النَّفسُ، وَالْإِثْمُ ما حَاكَ فِي النَّفْسِ، وَتَرَدَّدَ فِي الصَّدْرِ، وَإِنْ أَفْتَاكَ النَّاسُ وَأَفْتَوْك**»[١]، فتَستوضحُ وتفهمُ ثم تعمل بما تعتقد أنه هو الصحيح من الدين؛ لأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى حكمٌ عدلٌ، سيحاكم كلَّ إنسان يومَ القيامة بما فهِمَ وما علِمَ وبما استقرّ في قلبه ﴿وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا﴾ [مريم: ٩٥].

ويجب أن نعلم أن علم الحديث علم راق، بني على أساس من المنطق النقلي في التوثيق والتدقيق والترجيح، حتى أصبح من أعظم العلوم، لكن يجب أن نكون مدركين أنه علم بشري يمكن أن يكون فيه قدر من الخطأ، ولذلك قام هذا العلم على ركيزتين أساسيتين هما السند والمتن، فحتى لو صح الحديث سندًا فإن المتن قابل للنظر بميزان آخر

(١) أحمد في «مسنده» (١٨٠٠٦)، والدارمي في «سننه» (٢٥٧٥).

يدخل فيه النسخ والترجيح والتوفيق وغير ذلك، وقد أفردت في ذلك المصنفات المختلفة منذ القرون الأولى.

وحتى لو كان المتن مشكلًا فهذا لا يعني حذفه أو تجاهله، بل يبقى النص محفوظًا في مكانه في كتب الحديث تجسيدًا للأمانة العلمية التي تؤكد على رفعة المنهج، حتى أنه في بعض العصور وصل العلماء في التعامل مع النص إلى درجة تعطيله ولكنهم حافظوا عليه، لتدلو الأجيال القادمة بدلوها فيه إقرارًا ببشرية العمل، واعترافًا بأن المعرفة ليست حكرًا على فرد أو عصر، بل هي تراكمية ومتسلسلة، وعطاء من الله للأفراد والعصور المختلفة.

التأدب مع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وتعظيمه ومحبته

التأدب مع مقام رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ

والسبيل إلى فهم السنة الشريفة والسيرة النبوية الطاهرة يجب أن يبدأ بمشرَبِ الأدب؛ بأن نتأدب مع مقام رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وننزله في نفوسنا المنزلة الحقيقية التي أرادها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى له، فهو صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ الحبيب الأعظم، وخير الخلق، وهذا المنطلق هو المنطلق الحقيقي الثاني الذي يجعلنا نفهم السنة الشريفة، وبالتالي نفهم ديننا.

فالصحابة رضوان الله عليهم بدؤوا سلوك طريقهم إلى الله بحب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وتأدبوا معه أيَّما تأدّبٍ، فأحبوه وأحبوا ما جاء به عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ من ربه؛ لأنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مفتاح هذا الدين، وقد بعثه الله رحمة لعباده، والمحبة هي طريق يجب أن يأخذ المحب بالأسباب فيه ويتدرج فيه حتى يكون حبه صادقًا، وقد علَّم رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ سيدَنا عمرَ بنَ الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كيف يكون ذلك الحبّ وهو آخذ بيده، فقال له عمرُ: يا رسولَ اللهِ، لأَنْتَ أحبُّ إليَّ مِن كلِّ شيءٍ إلا مِن نفسي. فقال النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**لَا وَالَّذِي نَفْسِي**

بِيَدِهِ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ». فقال له عمرُ: فإنه الآن واللهِ لأَنتَ أحبُّ إليَّ مِن نفسي. فقال النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«الآنَ يَا عُمَرُ»**[1].

ويتضح لنا من هذا النص أن الإنسان يجب أن يكون صادقًا مع نفسه، يتفكر بتمعنٍ في معنى الحب، ومعنى مقام النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، حتى يحسم المسألة بالتفكُّر، ثم يجعلها عقيدةً ثابتةً في قلبه يتحرك بعد ذلك من خلالها، فيسير في ربوع السيرة بشوق ومتعة وفهم صحيح: **«أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ»**[2]، ويقتدي بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ اقتداءَ الحب والقناعة الكاملة التي جاءت من حبّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ والتفكُّر فيما جاء به من تعاليم، فنبدأ بالتسليم بأن ما جاء به هو الطريق الصحيح والقول الفصل؛ لأنه ما ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى.

تعظيم الحبيب صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مفتاح التلقي

فهذا التعظيم للحبيب صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ والتأدب معه بما يليق به كما أراد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى له هو مفتاح التلقي، فعندها يتلقى الإنسان تلقي المحب المتفاني في حب الله ورسوله؛ لأن محبة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى طريقها اتباع النبي الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ

(١) رواه البخاري (٦٦٣٢).

(٢) متفق عليه؛ رواه البخاري (٥٢)، ومسلم (١٠٧/١٥٩٩).

فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [آل عمران: ٣١]، فإذا صدَقنا مع أنفسنا وسلكنا هذا المنهج ترقَّينا في فهم سيرة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وبالتبعية فهم الدين ومراد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى منا.

فدراسة السيرة النبوية هي أساس التلقِّي لمن أراد سلوك الطريق الصحيح، وهي الميزان؛ لأن السالك يجب أن يكون ميزان عمله وقوله وفعله ما جاء به نبي الرحمة، فإذا اختلط عليه الأمر ردَّه إلى سيرة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وإلى قوله وفعله، وحتمًا سيجد ضالته فيها.

ولكي نحقق هذا الأمر يجب أن نعظِّم مكانة الحبيب صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في نفوسنا، فنتذكر ونتذاكر سيرته وما أعطاه الله من خلق كريم وشمائل شريفة، وما جاء في القرآن الكريم عن منزلته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ومكانته، وما جاء في الأحاديث النبوية الصحيحة، فنحاول أن نعرف قدر الحبيب صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بقدر ما تصل إليه مداركنا؛ لأنه لا يُدرِك قدْرَه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فهو خير خلق الله وخير صنعة الصانع، ولا يدرك صنعة الله إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فنحن نجتهد على الطريق وننهل من هذا المنهل العذب ما شاء الله لنا أن ننهل، وما أجملَ ما قاله البوصيري في منزلته ومكانته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ:

دَعْ ما ادَّعَتْهُ النَّصَارَى في نَبِيِّهِم
واحْكُمْ بما شِئتَ مَدْحًا فيهِ وَاحْتَكِمِ

وانسُبْ إلى ذاتِهِ ما شِئتَ مِن شَرَفٍ
وانسُبْ إلى قَدْرِهِ ما شِئتَ مِن عِظَمِ

فَإنَّ فَضلَ رسولِ اللّٰهِ ليسَ لهُ
حَدٌّ فَيُعرِبَ عنهُ ناطِقٌ بِفَمِ

محبته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قضية أساسية

النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ نورٌ بدَّدَ اللّٰه به ظلمة البشرية، وجعله رحمةً لها ومبعوثًا للخلق كافة: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [سبأ: ٢٨]، وهو صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قد أكد ذلك في قوله: **«يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مُهْدَاةٌ»**[(١)].

وقد رأينا أثرَ تلك الرحمةِ وعظيمَ القدر والمكانة فيمن حوله من أصحابه، وكيف أحبَّهُ الشجر والحجر والطير والجمل وسائر المخلوقات في مواقفَ كثيرةٍ ترِقُّ لها القلوب، أما محبةُ البشرِ له فقد نقلَتْها لنا تلك الصورُ المشرقة لمحبة أصحابه له صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وكيف عبروا عنها

(١) رواه الحاكم في «مستدركه» (١/٣٥) وصححه وأقره الذهبي.

وجعلوا محبتَه قضيةً أساسيَّةً؛ فهم يُواسونه بأنفسهم ويفدونه بأرواحِهم وبأولادِهم وأهلِهم، وهو ما يملأُ قلوبنَا إعجابًا، فهذا أبو طلحة في يوم أُحد يَذُود عن النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بقَوْسِه ونباله، وكلما أطلَّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ برأسه يقول له: «يا نبي الله، بأبي أنتَ وأمي، لا تُشرِفْ يُصيبُك سهمٌ من سِهام القوم، نَحري دونَ نَحرِك»[1].

وتلك المرأة الأنصارية التي لم يَشغَلها في ذلك اليوم مَقتل أبيها وزوجها وأخيها بقدر ما شغلها أمر سلامَةِ رسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ونجاته، فلما رأته رأيَ العينِ اطمأنت وقالت: «كلُّ مصيبةٍ بعدك جَلَل»[2]؛ أي كل أمر يهون بعدك، فما أجمل هذه الصورة الإيمانية وذلك الحب الصادق الذي استقرَّ في قلب هذه المرأة الأنصارية.

ومن أروع القصص التي خلدها التاريخ في محبة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قصة زيدِ بن الدَّثِنَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقد أخذه المشركون ليقتلوه، فقال له أبو سفيان: أَنشُدك الله يا زيد، أتحب أن محمدًا عندنا الآنَ في مكانِكَ نضرِبُ عنقَهُ، وأنَّك في أهلك؟ قال: والله ما أحبُّ أن محمدًا الآنَ في مكانِهِ الذي هو فيه تُصيبُهُ شوكةٌ تُؤذِيهِ وأنِّي جالسٌ في أهلي. فقال أبو سفيان متعجبًا: ما رأيت من الناس أحدًا يحبُّ أحدًا

(١) متفق عليه؛ البخاري (٣٨١١)، ومسلم (١٣٦/١٨١١).

(٢) رواه البيهقي في «دلائل النبوة» (٣٠٢/٣).

كحبِّ أصحابِ محمدٍ محمدًا[1].

وهناك صورٌ كثيرةٌ من هذا الحبِّ؛ فهم ـ رضوان الله عليهم ـ كانوا يتسابقون إلى حبِّه وحبِّ كلِّ ما يُحبُّه، ويحبون كل من يُحبُّه، ويلتمسون رضاه، ويسعون في طاعته، ويقتفون أثره، ويتتبعون آثارَهُ، رضي الله عنهم وأرضاهم جميعًا.

ولعِظَمِ مكانةِ هذا النبيِّ الكريمِ ذي القدْرِ العظيمِ عند ربِّهِ عَزَّوَجَلَّ؛ فإنه سبحانه لم يجعلْ محبتَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مقصورةً على البشر، بل غرسَهَا حتى في الحيوانِ والنباتِ والجمادِ، فجعلها عارفةً به، عالمةً برسالته.

وقد ظهر هذا الحبُّ وتلك الطاعة في مظاهر مختلفة؛ فقد حنَّ الجذع شوقًا إليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ حين فارقه، وسلَّمَ عليه الحَجَرُ والشَّجَرُ، وسجدتْ له سجودَ تَحيَّةٍ وتعظيمٍ وتوقيرٍ، لا سجودَ عبادَةٍ، وأحبَّهُ جبلُ أحد، وأضاءتِ المدينةُ المنورةُ يومَ وصولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إليها، وأظلمتْ يوْمَ وفاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وسَبَّح الطعامُ بين يديه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، كما سَبَّحَ الحصى بيديه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وأخبرته الشاة المسمومة خوفًا عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وأخبرته الشاة التي ذُبِحَت

(١) «السيرة النبوية» لابن هشام (٢/١٧٢).

بغير إذن أهلِهَا غَيرةً عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وأظهر الشجر خوفَهُ عليه، وشهدتِ الأشجارُ بنبوَّته، والحيوانات برسالته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، كما احترمته الحيوانات ووقرته، وسجَدَ الجمل له وانقادَ خضوعًا واستجابة لأمره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

واستجابتِ الجبال أُحُد وحِرَاء وثَبِير لأوامره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بعد أن اهتزت طربًا وفرحًا وسرورًا به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وتفرَّقَ الغيم بإشارته، وانشق القمر لرغبته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وتساقطت الأصنام بإشارته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، واهتز المنبر واضطرب خشيةً وهيبةً لقراءته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وتجزأَتْ ذَرَّاتُ التراب فدخلت في عيون جيوش الكفار من حَفنَةٍ رماها بقبضته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، ونبع الماء من بين أصابعه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وكثُر الطعام والماء واللبن لطلبه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، واستجابت الأحجار والأشجار والحيوانات لأوامره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، ودَرَّ الضرع الحائل ببركته، وأظلته الغمام في رحلته إلى الشام طاعةً لله وشوقًا لصحبته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، في مشهد حبٍّ اتصل بحب الله لحبيبه المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ[1].

ومن أجمل قصص طاعته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تلك التي رواها زيد

(١) «محبة النبي وطاعته بين الإنسان والجماد»، د. خليل ملا خاطر.

بن أرقم فقال: كنت مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في بعض سكك المدينة، فمررنا بخباء أعرابي فإذا ظبيةٌ مشدودةٌ إلى الخباء، فقالت: يا رسول الله إن هذا الأعرابي صادني قبيلًا ولي خِشْفَانِ[1] في البرية، وقد تعقد هذا اللبن في أخلافي، فلا هو يذبحني فأستريح، ولا يدعني فأذهب إلى خِشْفَيَّ في البرّيّة. فقال لها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**إِنْ تَرَكْتُكِ تَرْجِعِينَ؟**». قالت: نعم، وإلا عذبني الله عذابَ العَشَّار[2]. فأطلقها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فلم تلبث أن جاءت تلمظ، فشدَّها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إلى الخباء وأقبل الأعرابي ومعه قربة، فقال له رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**أَتَبِيعُنِيهَا؟**». قال: هي لك يا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ. فأطلقها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ. قال زيد بن أرقم: فأنا واللهِ رأيتُها تَسِيحُ في الأرض وهي تقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ[3].

---

(١) أي: ظبيان صغيران.

(٢) أي: المكَّاس الذي يأخذ على السِّلَع مَكْسًا.

(٣) رواه أبو نعيم في «دلائل النبوة» (٢٧٣) وفي حديثه عن أبي علي الصواف (٢)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٦/٣٤-٣٥)، ورواه الطبراني في «الكبير» (٧٦٣-٢٣/٣٣١) من حديث أم سلمة.

وما ظهر من الجمادات والنباتات والحيوانات من مظاهر الحب والطاعة والامتثال إنما هو إدراك واعتراف منها بنبوته ورسالته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، ألزمها الله به تعظيمًا لمكانته وقدره عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

فهذا الحبيب الأعظم هو ثمرة حب الله له صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، ومحبته واتباعه هما وسيلتنا إليه، وطريقنا الواضح للترقي في مدارج القرب من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فكلما اقتربنا من سيرته ومن سننه ومن منهجه المحمدي الكامل كلما استزدنا من هذا الفضل، وهو طريق واسع كبير ينال منه الإنسان بقدر توكله على الله، وحسن ظنه فيه، واجتهاده ومجاهدته وعطاء الله له.

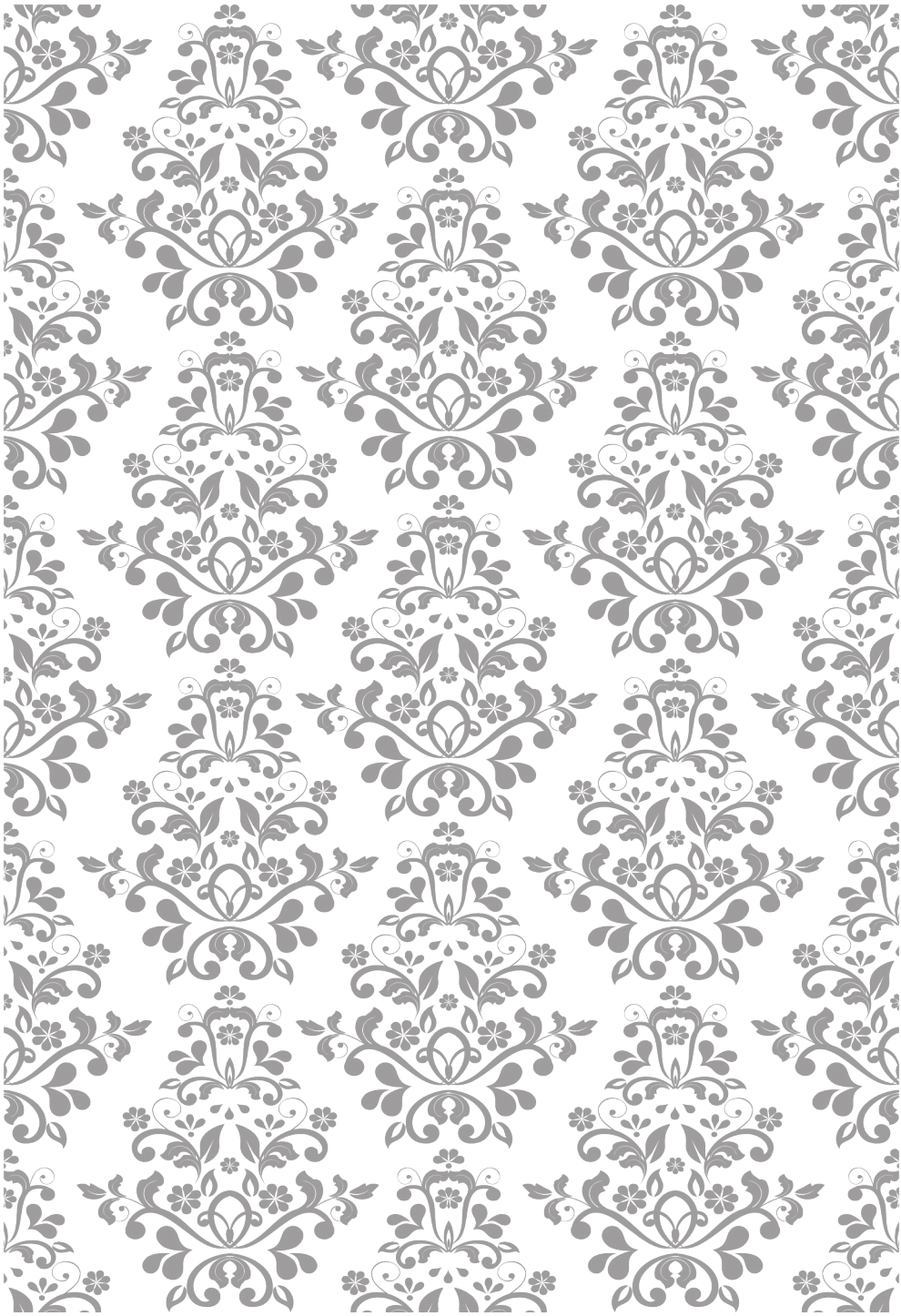

أخلاقه العظيمة وخصاله الحميدة

من المهم أن يجعل السالك أخلاق رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وأفعاله وأقواله وشمائله الكريمة ميزان لسلوكه، فهو القدوة والأسوة، وهو روح الدين الماثلة للخلائق، فجماله يتلألأ من أي جنب أتيته، وهو ذو خلق كريم كما وصفته سيدتنا خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «**كَلَّا وَاللهِ مَا يُخْزِيكَ اللهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ**»[(١)].

وكما وصفه ابنها هندُ بن أبي هالةَ لما سأله عن صفته سيدنا الحسن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «كانَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مُتواصِلَ الأحزانِ، دائمَ الفكرةِ، ليستْ لهُ راحةٌ، ولا يتكلَّمُ في غيرِ حاجةٍ، طويلَ السُّكوت، يفتَتِحُ الكلامَ، ويختِمُه بأشداقِهِ[(٢)]، ويتكلَّمُ بجوامعِ الكلمِ، فَصْلًا، لَا فُضُولَ فِيهِ، وَلَا تَقْصِيرَ، دَمِثًا[(٣)] ليس بالجافي ولا الْمُهين[(٤)]،

(١) متفق عليه؛ البخاري (٣)، ومسلم (١٥٢/١٦٠).

(٢) أي: يستعمل جميعَ فمه للتّكلّم، ولا يقتصر على تحريك الشفتين.

(٣) أي: سهلَ الخُلُق لينَ التعامل.

(٤) يعني: لا يجفو الناسَ ولا يُهينهم.

يُعظّم النعمة وإن دَقَّت، لا يذمّ شيئًا، لم يكن يذم ذَوَاقًا[1] ولا يمدحه، ولا يُقامُ لغضبِهِ إذا تُعرِّضَ للحقِّ بشيْءٍ حتى يَنتصِرَ له، ولا يغضبُ لنفسه ولا يَنتصِرُ لها، إذا أشار أشار بكَفِّهِ كُلِّها، وإذا تعجَّب قلَبَها، وإذا تحدَّثَ اتَّصَلَ بها فضَرَبَ بإبهامِهِ اليمنى راحتَهُ اليسرى، وإذا غضِبَ أعرضَ وأشاحَ، وإذا فرِحَ غضَّ طَرْفَهُ، جُلُّ ضحكِهِ التبسّم، ويَفْتَرُّ عن مِثْل حَبِّ الغَمَام[2].

قال الحسَنُ: فكتمْتُها الحسينَ بنَ عليٍّ زمانًا، ثم حدّثْتُه فوجدتُه قد سبقني إليه فسألَ أباه عن مَدخلِ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ومَخرجِهِ ومَجلسِهِ وشكلِهِ فلم يَدَعْ منه شيئًا؛ قال الحسين: سألتُ أبي عن دخولِ رسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فقال: كان دخولُه لنفسه مأذونًا له في ذلك، وكان إذا أَوَى إلى منزله جَزَّأَ دخولَهُ ثلاثة أجزاء؛ جزءًا لله، وجزءًا لأهله، وجزءًا لنفسه، ثم جزَّأَ جزأَهُ بينه وبين الناس، فيردُّ ذلك على العامّة بالخاصّة، ولا يدخرُ عنهم شيئًا، فكان من سيرتِهِ في جزء الأمة إيثارُ أهل الفضل بإذنِهِ، وقِسْمُتُه على قدر فضلهم في الدين، منهم ذو الحاجة، ومنهم ذو الحاجتَيْن، ومنهم ذو الحوائج، فيتشاغل بهم ويَشْغَلُهم فيما أَصْلَحَهُم والأُمَّةَ من مسألتِهِ عنهم وإخبارِهِم بالذي ينبغي لهم، ويقول:

---

(١) أي: طعامًا أو شرابًا.

(٢) يعني إذا تبسَّم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بدت أسنانه الشريفة بيضاء كالبَرَد.

«لِيبُلِّغَ الشَّاهِدُ مِنْكُمُ الْغَائِبَ»، و: **«أَبْلِغُونِي حَاجَةَ مَن لَا يَسْتَطِيعُ إِبْلَاغِي حَاجتَهُ؛ فإِنَّهُ مَن بَلَّغَ سُلْطَانًا حَاجَةَ مَن لَا يَسْتَطِيعُ إِبْلَاغَهَا إِيَّاهُ ثَبَّتَ اللهُ قَدَمَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»**، لا يُذكر عنده إلا ذلك، ولا يَقبَلُ من أحد غيرَهُ، يدخلون رُوَّادًا[1] ولا يفترقون إلا عن ذَوَاقٍ[2] ويخرجون أَدِلَّةً؛ يعني فقهاءَ.

قلت: فأخبرني عن مخرجه كيف كان يصنع فيه؟ فقال: كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَخزُنُ لسانَه إلا مِمَّا يَعنِيهم ويُؤلِّفُهم ولا يُفرِّقُهم، يُكرِمُ كريمَ كلِّ قومٍ ويُولّيه عليهم، ويَحْذرُ الناس ويَحترسُ منهم مِن غيرِ أن يَطْويَ عن أحد منهم بِشرَهُ وخُلُقَه، ويتفقَّدُ أصحابَهُ، ويسألُ الناس عمَّا في الناس، ويُحسِّنُ الحسَنَ ويُصوِّبُهُ، ويُقبِّحُ القبيحَ ويُوَهِّنه، معتدلَ الأمرِ غيرَ مختلِفٍ، لا يَغفُلُ مخافةَ أن يَغْفلوا أو يَملُّوا، لكلِّ حالٍ عنده عَتَادٌ[3]، لا يُقصِّرُ عن الحقِّ ولا يُجاوِزُه، الذين يَلُونه من الناس خيارُهم، أفضلُهم عنده أعمُّهُم نصيحةً، وأعظَمُهم عنده منزلةً أحسَنُهُم مواساةً ومؤازرةً.

قال: فسألته عن مجلسه عمَّا كان يصنعُ فيه، فقال: كان رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لا يجلِسُ ولا يقومُ إلا على ذِكْرٍ، ولا يُوطّن[4] الأماكنَ

---

(١) أي: طالبين ما عنده.

(٢) أي: عن مطعوم حسّيٍّ على ما هو الأغلب أو معنويٍّ من العلم والأدب فإنه يقومُ لأرواحِهم مقامَ الطعام لأجسادِهِم.

(٣) أي: عدّة وتأهّب.

(٤) أي لا يجعل لنفسه مجلسًا معينًا.

وينهى عن إيطانها، وإذا انتهى إلى قوم جلَسَ حيثُ ينتهي به المجلسُ، ويأمُرُ بذلك، ويُعطِي كلَّ جُلَسائِه نصيبَهُ، حتى لا يحسِبَ جَليسُهُ أنَّ أحدًا أكرمُ عليه منه، مَن جالَسَهُ أو قاوَمَهُ في حاجةٍ صابَرَهُ حتى يكونَ هو المنصرفَ عنه، ومن سأله حاجةً لم يردَّهُ إلا بها أو بميسورٍ من القول، قد وسِعَ الناسَ مِنه بَسْطُه وخُلُقُه، فصار لهم أبًا وصاروا عنده في الحقِّ مُتقارِبينَ مُتفاضِلِينَ فيه بالتقوى ـ وفي رواية: صاروا عنده في الحق سواءً ـ مَجلِسُهُ مجلسُ حِلْمٍ وحياءٍ وصبْرٍ وأمانَةٍ، لا تُرفع فيه الأصواتُ، ولا تُؤْبَن[1] فيه الْحُرَم، ولا تُنْثَى[2] فَلَتَاتُه، يَتعاطفُونَ بالتقوى، متواضعين، يوقِّرون فيه الكبيرَ ويرحمون الصغيرَ، يُرفدونَ[3] ذا الحاجَةِ، ويرحمونَ الغريبَ.

قال: فسألته عن سيرته في جلسائه، فقال: كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ دائمَ البِشْر، سهْلَ الخُلُق، لينَ الجانب، ليس بفظٍّ ولا غليظٍ ولا سَخَّابٍ[4] ولا فحَّاشٍ ولا عيَّابٍ ولا مَدَّاح، يتغافَلُ عمَّا لا يَشتهي، ولا يُؤْيَسُ منه[5]، قد ترك نفسه من ثلاثٍ؛ الرِّياء والإكثار وما

(١) لا تُعرف ولا تُذكر بقبيح.
(٢) أي: لا تُشاع ولا تُذاع.
(٣) أي: يُعينون ويُغِيثون.
(٤) السَّخَب: رفع الصوت.
(٥) أي: لا يَيْئَس أحدٌ من كَرَمِه.

لا يعنيه، وترك الناس من ثلاثٍ؛ كان لا يذُمُّ أحدًا ولا يُعيِّرُه ولا يطلبُ عورتَهُ، ولا يتكلَّمُ إلا فيما يرجو ثوابَه، إذا تكلَّمَ أطرَقَ جُلَساؤُهُ كأنما على رُؤوسِهم الطَّيْرُ، فإذا سكَتَ تكلَّمُوا، لا يتنازعون عندَهُ الحديثَ، مَن تكلَّمَ عندَهُ أنصتوا له حتى يفرُغَ، حديثُهُم حديثُ أَوَّلِهِم، يضحك مما يضحكون منه، ويتعجَّبُ مِمَّا يتعجبون منه، ويصبرُ للغريب على الْجَفوة في المنطِقِ، ويقول: «إِذَا رَأَيْتُمْ صَاحِبَ الْحَاجَةِ فَأَرْفِدُوهُ[1]» ولا يطلبُ الثناءَ إلا من مُكافئ، ولا يقطعُ على أحدٍ حديثَهُ حتى يَتَجَوَّزَهُ فيقطعَهُ بانتهاءٍ أو قيامٍ.

قلت: كيف كان سكوتُهُ؟ قال: كان سكوته على أربع؛ الحلم والحَذَرِ والتقدير والتَّفكُّرِ؛ فأما تقديره ففي تسويته النظر والاستماع بين الناس، وأما تفكُّرُه ففيما يبقى ويفنى، وجُمِع له صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ الحلمُ في الصبرِ فكان لا يُغضِبُهُ شيءٌ ولا يستفزُّهُ، وجُمِع له في الحذَرِ أربعٌ؛ أخذُهُ بالحسنِ ليُقْتَدى به، وتركُهُ القبيحَ ليُنتهَى عنه، واجتهادُ الرَّأيِ بما أَصلحَ أُمَّتَه، والقيامُ لهم بما جَمَع لهم من أمْرِ الدُّنْيا والآخرة»[2].

(١) أي: أعطوه ولو بعضَ كفايتِهِ أو أعينوه على قضاء حاجته.

(٢) الحديث رواه الترمذي في «شمائله» (٢٢٦)، وابن سعد في «طبقاته» (٤٢٢/١)، والطبراني في «الكبير» (١٤٤-١٥٥/٢٢) وفي «الأحاديث الطوال» (٢٩)، وأبو الشيخ في «أخلاق النبي» (١٧)، والآجري في «الشريعة» (١٠٢٢)، وأبو نعيم في «دلائل=

وقد جاء قول السيدة عائشة عندما سُئلت عن خُلُقه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فقالت: «**كان خُلُقه القرآن**»[1] فجمَعَ وحَوَى.

=النبوة» (٥٦٥)، و«المعرفة» (٦٥٥٣)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٢٨٥/١)، و«شعب الإيمان» (١٣٦٢).

(١) رواه مسلم (١٣٩/٧٤٦) في «صحيحه»، ولفظه: فإنَّ خُلُقَ نبيِّ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كان القرآنَ، واللفظ المذكور لأحمد في «مسنده» (٢٤٦٠١)، (٢٥٨١٣)، (٢٥٨١٣).

مديحه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وتغني الشعراء بوصفه

وقد تغنى كثيرٌ من شعراء الصحابة في وصفه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فقال حسان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كثيرًا من الشعر في مدحه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، ووصف محاسنه الخَلقية والخُلقية، ومن ذلك قوله[1]:

وأحسَـن مِنك لـم تَرَ قـطُّ عَيْنِي * وأجمـل مِنـك لـم تَلِـدِ النسـاءُ

خُلِقْـتَ مُبَـرَّأً مـن كلِّ عَيْـبٍ * كأنـك قـد خُلِقْـتَ كما تشـاءُ

وقال يمدحه أيضًا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ[2]:

يا رُكنَ مُعْتَمِدٍ وعِصمةَ لائذٍ * ومَلَاذَ مُنْتَجِعٍ وجَارَ مُجَاوِرِ

يا مَن تَخَيَّرَهُ الإلهُ لِخَلقِهِ * فَحَبَاهُ بالخُلُقِ الزَّكِيِّ الطَّاهِرِ

أنتَ النبيُّ وخيرُ عُصْبةِ آدَمٍ * يا مَن يَجودُ كفَيْضِ بَحْرٍ زاخِرِ

ومن شعر العباس بن عبد المطلب عمّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ

---

(١) «المستطرف» (٢/٢٣٠).

(٢) «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» (١/٢٧٦)، و«أسد الغابة» (١/٣٥٢)، ترجمة جناب الكلبي.

فـي مدحه صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓاۤلِهِۦوَسَلَّمَ[1]، عندما قال له: يا رسول اللّٰه، أريدُ أن أمتدحك. فقال سيدنا رسول اللّٰه صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓاۤلِهِۦوَسَلَّمَ: **«قُلْ لَا يَفْضُضِ اللّٰهُ فاكَ»** فأنشأ يقول:

مِن قَبْلِهَا طِبْتَ فـي الظِّلالِ وفي * مُسْتَوْدَعٍ حيثُ يُخصَفُ الْوَرَقُ
ثُمَّ هَبَطْتَ الْبِلادَ لا بَشَرٌ * أنتَ ولا مُضْغَةٌ ولا عَلَقُ
بلْ نُطْفَةٌ تركَبُ السَّفِينَ وقدْ * أَلْجَمَ نَسْرًا وأهلَهُ الْغَرَقُ
تُنْقَلُ مِن صَالِبٍ إلى رَحِمٍ * إذا مضَى عالَمٌ بَدَا طَبَقُ
ثمَّ احتَوَى بيتُك الْمُهَيمِنُ مِنْ * خِنْدِفَ عَلْيَاءَ تَحْتَهَا النُّطُقُ
وأنت لما وُلِدْتَ أَشْرَقَتِ الأرضُ * وَضَــاءَتْ بِـنُـورِك الأُفُــقُ
فنحنُ فـي ذَلك الضِّياءِ وفي * النُّورِ وَسُبْلِ الرَّشَادِ نَخْتَرِقُ
يا بَرْدَ نارِ الخليلِ يا سَبَبًا * لِعِصْمَةِ النّارِ وهْيَ تَحْتَرِقُ

ومن أجمل ما قرأت فـي مدحه صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓاۤلِهِۦوَسَلَّمَ أبياتُ لأعرابي قالها عند قبره صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓاۤلِهِۦوَسَلَّمَ[2]:

---

(١) رواه الطبراني فـي «الكبير» (٤١٦٧)، والحاكم فـي «مستدركه» (٣/٣٢٧)، والبيت الأخير ورد فـي «الشفا» (١/١٣٢).

(٢) رواه البيهقي فـي «شعب الإيمان» (٣٨٨٠)، وابن عساكر فـي «معجمه» (٧٣٨)، وفيهما من الشعر البيتان الأولان، وما بعدهما زيدًا بعد ذلك، واللّٰه أعلم.

يا خيرَ مَن دُفِنَتْ بالْقَاعِ أَعْظُمُه * فطاب من طِيبِهِنَّ القاعُ والأكمُ
نَفْسِي الفداءُ لِقَبْرٍ أنتَ ساكِنُهُ * فيه العفافُ وفيه الجُودُ والكَرَمُ
أنت الحبيبُ الذي تُرجَى شَفَاعَتُه * عند الصراطِ إذا ما زَلَّت القَدَمُ
لولاك ما خُلقتْ شمسٌ ولا قمرٌ * ولا سماءٌ ولا لَوحٌ ولا قَلمُ
فكنْ شَفيعًا إذا ما ثرْتُ من جَدَثِي * فإنني ضَيْفُكُم والضيفُ مُحْتَرَمُ
صَلَّى عليك إلهُ العرشِ ما طلعتْ * شمسٌ وحنَّ إليك الضَّالُ والسَّلَمُ

ومن هنا فإنني أؤكد أن خيرَ ما نُعلِّمُه لأنفسِنا وللناشئة القرآنُ الكريم وسيرةُ النبي الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فهي الميزان، وقد جاءت شارحةً موضحةً لهذا المنهج في قالبٍ إنسانيٍّ نبويٍّ محمديٍّ متسم بجمال سيرته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ المحبَّبة للنفس السوية إذا أقبلنا عليها بالحب الصادق الذي نقصد به وجه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فالله هو المقصود، وهو المعبود، وسيدنا محمد هو المرشد الحنون الحريص: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

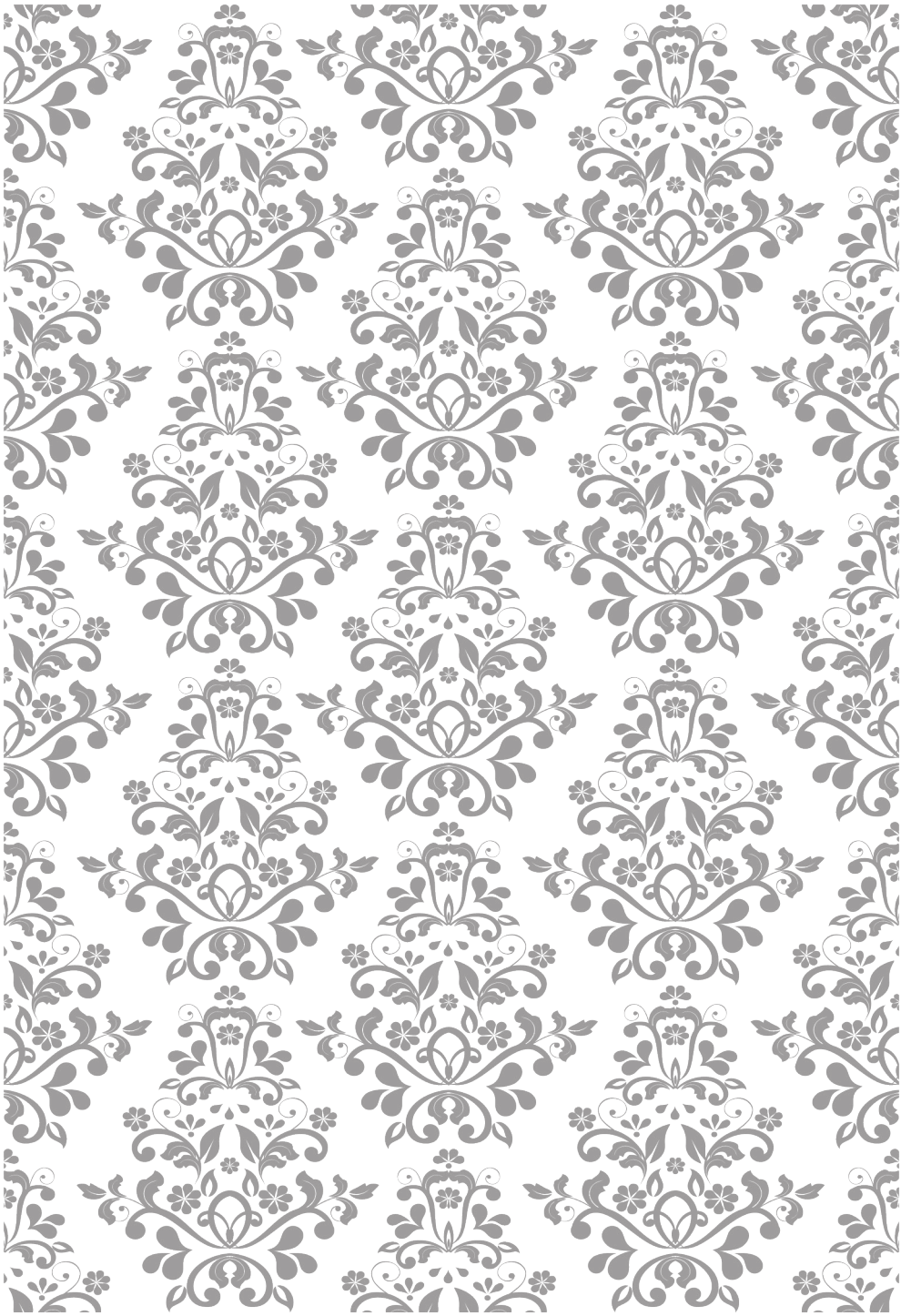

الخاتمة

المعنى الذي نحب أن نؤكده هو أن الخلاصة هي طاعة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والمراد رضاه سبحانه، متمثلين خُلُق وسُنَّة الحبيب المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، فالطريقُ الذي يهدي إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وعبادته بطريقةٍ تتوافقُ مع مرادِهِ هو الطريقُ الصحيح.

والطرق والمسالك ما هي إلا أذواق، فلا نُفاضلَ بينها، وإنما لكل منا ما يناسبه من سُبُل الاجتهاد في رضا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ حسب تكوينه وقدراته، ومن ضمن أقوال الصوفية الشهيرة: إذا رأيتم الرجل يمشي على الماء، ويطير في الهواء ويخالف شرع الله فاضربوا بقوله عُرض الحائط. في إشارة واضحة إلى أن المسألة تعبّديّة متشرعة في كل تفاصيلها.

فالقرآن الكريم والسنة هما المنهاج والدرب والميزان الذي يقاس به كل ما يعرض على المسلم، وقد تختلف في ذلك المفاهيمُ والمدلولاتُ للنصوص عند بعضنا عن البعض الآخر، وهو أمرٌ حسّاس ومهم، فالاختلاف في الفهم بالأدوات الصحيحة من علوم اللغة وعلوم الحديث وعلوم الفقه وعلوم ترجيح النصوص رحمة حقيقية تفتح بابَ المعرفة على مصراعَيْه، وتُبْقي الاجتهادَ حيًّا في الأمة عند أهله المؤهَّلين،

فالإسلام للناس كافَّة، ولكن الاجتهاد في مفاهيمه ومعانيه ومقاصده ومآلاته، وإنزالها على الواقع لأهل الذكر: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]، أما الأخذ بهذا الرأي أو ذاك من أقوال العلماء وأهل الاجتهاد فهو حرية ومسؤولية شخصية تُكوّنها قناعة الإنسان بما يبرأ به أمام خالقه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ «**اسْتَفْتِ قَلْبَكَ وَإِنْ أَفْتَوْكَ**».

فأسألُ اللّٰه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يُنير قلوبنا، وأن يرزقنا التوفيق لما يرضيه سبحانه من قول وفعل، وأن يأخذ بأيدينا إلى مرضاته، باصطفاء المحبوبين، وسلوك المحبين، على منهاج سيد المرسلين صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ.

المحتويات

الموضـــوع	الصفحة
مقدمة العلامة الشريف عبد الله فراج العبدلي	٧
تقريظ العلامة الحبيب أبوبكر العدني ابن علي المشهور	١١
المقدمة	١٣
الفصل الأول: فلسفة ومنهج تربية النفس	١٥
طبيعة النفس	**١٧**
النفس الأمارة	١٩
النفس المُلْهَمَة	١٩
النفس اللوَّامة	١٩
النفس الذاكرة	١٩
النفس المطمئنة	٢٠
النفس الراضية	٢٠
النفس المرضية	٢٠
تبدل أحوال النفس	٢٠
منهج الطريق الى الله	**٢٣**
المرحلة الأولى: الفرار مما توعد الله العاصين	٢٤
المرحلة الثانية: مرحلة التجارة مع الله	٣١
المرحلة الثالثة: مرحلة الأحرار	٤٥

الموضـــوع	الصفحة
أدوات السالكين (الخضوع والانكسار والعمل الدؤوب)	**٤٧**
الحذر من الكبر	٤٨
خطورة اتباع الشيطان	٤٩
سنته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مسلك الصحابة والتابعين	٥١
التوغل برفق	٥٣
الفصل الثاني: الصوفية والتصوف	**٥٧**
مفهوم التصوف	**٥٩**
معنى كلمة الصوفية	٥٩
فلسفة التصوف	٦٠
مظاهر التصوف	**٦٣**
السند والتلقي	٦٣
الزهد عند المتصوفة	٦٤
الخلوات عند الصوفية	٦٤
الدعاء والذكر عند أهل التصوف	**٦٧**
الدعاء	٦٧
الذِّكر	٦٧
الاستغفار	٦٨
أسرار الأعداد والمواطن والأوقات والصيغ	٦٩
كتب الأذكار وانتفاع المسلم بها وحفظه لبعض أورادها	٧٢
الأذكار والأدعية المأثورة عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ	٧٣

الموضـــوع	الصفحة

بعض المعاني الراقية في التصوف..... ٧٥
(من ذاق عرف)..... ٧٥
(كفى بالخلق اصطفاءً، وبالعبودية مقامًا، وبالاستقامة كرامةً)..... ٧٥
الرمزية والأدب..... ٧٧
الشطحات عند الصوفية..... ٧٨
الأدب..... ٧٩
الفصل الثالث: ميزان السلوك في الطريق إلى الله..... ٨٣
تدبر القرآن والسنة والتفقه في الدين..... ٨٥
كيف نفهم السنة الشريفة؟..... ٨٦
أهمية التفقه في الدين..... ٨٧
التأدب مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وتعظيمه ومحبته..... ٩١
التأدب مع مقام رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ..... ٩١
تعظيم الحبيب صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مفتاح التلقي..... ٩٢
محبته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قضية أساسية..... ٩٤
أخلاقه العظيمة وخصاله الحميدة..... ١٠١
مديحه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وتغني الشعراء بوصفه..... ١٠٧
الخاتمة..... ١١١
المحتويات..... ١١٣